

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة العلوم الإسلامية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية

فُضَايا العُقيدة من خلال سورة الحجرات

تحت إشراف الأستاذ:

غريسي محمد الصالح

إعداد الطالبات:

بكوش فاطمة الزهرة

مسعي عون امباركة

مسعودي جبارية

السنة الجامعية: 1433-1434هـ الموافق لـ: 2012-2013م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة العلوم الإسلامية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية

فُضَايا العُقيدة من خلال سورة الحجرات

تحت إشراف الأستاذ:

غريسي محمد الصالح

إعداد الطالبات:

بكوش فاطمة الزهرة

مسعي عون امباركة

مسعودي جبارية

السنة الجامعية: 1433-1434هـ الموافق لـ: 2012-2013م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

﴿فَلْيَايُذُنْ صَلَاتِهِ وَنُسُكِهِ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

الأنعام: 162

ذكر الإمام المزي كاتب

الإمام الشافعي رحمهما الله تعالى إذ قال:

قرأت كتاب الرسالة على الإمام الشافعي ثمانين مرة فما من مرة إلا وكان يقف

على خطأ، فقال الشافعي:

"هيه أبا الله أن يكون كتاب صحيح غير كتابه".

الإهداء

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنعام: 162

خوفاً وطمعاً

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنبياء: 107

أحبك أكثر من نفسي

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ سورة الإسراء: 24

إليهما براً ورضواناً

﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ سورة طه: 29-31

إليهم جميعاً... محبة واعتزازاً

فاطمة الزهراء

إمباركة

جبارية

شكر وعرفان

الشكر لله سبحانه أولا وأخيرا، الذي تتم به عز وجل الصالحات
والذي يسر لنا السبيل لإتمام هذا البحث، والذي بفضلله وعونه سهل كل
صعب علينا.

وبعد شكر الله عز وجل

نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستان المشرف:

غريسي محمد الصالح على مده لنا بالتوجيهات والملاحظات اللازمة
لأجل إتمام هذا البحث وعلى سعة صدره معنا.

نشكر كل الأساتذة الكرام - أساتذة العلوم الإسلامية - الذين
رافقونا طيلة ثلاث سنوات، وعلى منحهم لنا هذا العلم الشريف
وغرسهم فينا محبته.

نشكر الأستازة بكوش لطيفة - بكلية الاقتصاا - على الدعم
والاهتمام.

نشكر كل من مد لنا يد العون، والتوجيه لإنجاز هذا العمل ولو
بكلمة طيبة.

لكل هؤلاء تتقدم بالشكر الجزيل

الملخص :

تناولنا في إطار هذه الدراسة قضايا العقيدة من خلال سورة الحجرات، حيث تُعد العقيدة أساس الدين كله فبصلاحها يصلح دين العبد ويقبل، وهي المهمة الأولى التي بدأ القرآن الكريم بإصلاحها ونقض كل الشوائب التي تعكرها وتفسدها. وقد اخترنا سورة الحجرات الكريمة، هذه السورة المدنية التي أردنا من خلالها بيان أن السورة المدنية أيضا قد تطرقت للعقيدة، وهذا كله لأهميتها بالنسبة للعبد المؤمن، وأيضا لربط الأحكام الشرعية بالإيمان.

وبعد البحث والدراسة لهذه السورة توصلنا إلى أنها ذات وحدة موضوعية، ارتبطت كل آياتها حول توحيد مصدر التلقي عن الله عز وجل ورسوله ﷺ، وهذا الأخير هو أصل إيماني تربوي بدأت السورة بالحديث عنه في أول آية لها، واستطعنا أيضا حصر ما تضمنته من قضايا عقدية، لاحظنا أنها دارت حول الإيمان ومقتضياته وأثر الالتزام به على الفرد والمجتمع معا، فقد تناولت السورة الحديث عن ما يقتضيه توحيد الربوبية والألوهية، كما ذكرت عدة آيات منها أسماء الله تعالى وصفاته التي تدخل في توحيد الأسماء والصفات وبذلك تكون السورة قد ذكرت ركنا من أركان العقيدة كاملا. كما تحدثت عن مقتضيات النبوة والإقرار بها من خلال بيان مكان النبي ﷺ، وتوقيره واحترامه وهذا يدخل في قضية النبوات، كما جاء الحديث عن الخلق وعلم الله عز وجل للغيب، وهو ما يدخل أيضا في القضاء والقدر، ويعتبر من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها. كما جاء الحديث حول النهي عن عدة عادات سيئة تمس الفرد وعلاقته بغيره، فتحدثت عن الأمر بالثبوت في الأخبار وكيفية فضّ الخلاف بين المتقاتلين والابتعاد عن إيذاء الآخرين بالسخرية واللمز أو التنازب بالألقاب أو الغيبة، وتجنب هذه الأشياء هو صورة من صور الالتزام بشرع الله تعالى، وبالتالي توحيد مصدر التلقي عن الله ورسوله، وهو ما أشارت إليه الآية الأولى ويُعد من مقتضيات الإيمان.

وفي الأخير تحدثت السورة بصورة واضحة صريحة حول الفرق بين الإيمان والإسلام. وبهذا تكون سورة الحجرات الكريمة المدنية النزول قد تطرقت إلى عدة قضايا تدخل في العقيدة.

Résumé:

Nous avons abordé dans le cadre de cette étude, les questions de la croyance à travers Sourate Al-hujurat, où elle est le fondement de toute religion, avec son ajustement ajuste la religion de l'individu.

C'est la première tâche que le Coran a commencé de la réparer et de la desceller de toutes les impuretés qui la corrompre.

Nous avons sélectionné la Sourate Al-hujurat précieuse, cette sourate à partir de laquelle nous voulons déclarer que la Sourate Madania a également porté sur la croyance et son importance pour le croyant et aussi à lier les décisions légales par la foi.

Après des recherches et l'étude de cette Sourate, nous sommes arrivés qu'elle est avec une unité objective tous ses versets sont associés sur l'unification de source du recevoir du Dieu tout-puissant et son Saint Prophète-paix et bénédictions de Dieu sur lui; Ce dernier est à l'origine de l'éducation de la foi où la Sourate a commencé à parler de lui dans son premier verset, nous avons aussi pu limiter le contenu des questions liées à la croyance; Comme nous avons noté qu'elle tournait autour de la foi, ses exigences et de l'effet de son respect pour l'individu et la société. De plus la Sourate a abordé le sujet d'unification du déisme et de la divinité, comme elle l'ai mentionné à plusieurs versets, y compris les noms et attributs de Dieu qui appartiennent à l'unification des noms et des adjectifs. Et d'être ainsi la Sourate avait signalé l'un des piliers de la croyance pleinement. Cette Sourate veut enseigner aux musulmans les bonnes manières qui doivent qualifier un vrai croyant. Qui leur donnent les manières qu'ils devraient observer par rapport à Allâh et à son Messenger. Elle est aussi indiqué le sujet de la création et que Dieu connaît l'inconnaissable c'est le destin des choses qui doivent être croire. D'autre part, la Sourate donne l'instruction qu'il n'est pas juste de croire à toutes les nouvelles que l'on reçoit et d'agir par rapport à elles sans mûre réflexion. Plus loin, la sourate indique quelle attitude les autres musulmans doivent adopter dans le cas où deux groupes de musulmans entrent en conflit mutuel. Se moquer, se railler les uns les autres, user de sobriquets les uns vis-à-vis des autres, créer la suspicion, interférer dans les affaires des autres et médire sont des maux qui sont non seulement des péchés en eux-mêmes.

Et éviter ces choses est une forme d'engagement envers les lois de Dieu afin d'unifier la source du recevoir de Dieu et son Messenger ce qui est mentionné au premier verset

Enfin la Sourate a clairement parlé de la différence entre la foi et l'Islam. Donc Sourate Al-hujurat précieuse a adressée plusieurs questions de croyance.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَفْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ

بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ

يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ؕ أُوَٰلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ فُلُوبَهُمْ لِلتَّفْوِي لِهِمْ

مَغْفِرَةً وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يِنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا فُؤَادًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيحُوا عَلَى

مَا بَعَلْتُمْ نَذِيرِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ بِيكُم رَسُولٌ أَلَّهُ لَوْ يُطِيعْكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ

لَعَنْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلَا يَمُنَّ وَزَيْنَهُ ؕ فِي فُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَةٌ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ

وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ؕ أُوَٰلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّآ مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

﴿٨﴾ وَإِنْ طَآءَبْتَنِي مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ إِفْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدِيهِمَا عَلَى

الْآخَرِي فَبَقِيْلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَبْحَثَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن بَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ

وَأَفْسُطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ

وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِّن قَوْمٍ مِّنْ قَوْمِ عِيسَىٰ أَن

يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَائِهِ عِيسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا

أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ بِيْسَ الْأَسْمِ الْفُسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ

بِأُوَٰلِيكِهِ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنْ بَعْضُ

الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ

أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

مِّن ذَكَرٍ وَنَبِيٍّ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

أَتْفِيلُكُمْ ؕ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا فُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا

أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي فُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّن

أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ

لَمْ يَزْتَابُوا وَجَّهَهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؕ أُوَٰلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ فَل

أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَن أَسْلَمُوا فَلَآ تُؤْمِنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ ؕ أَن

هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ

بَصِيرٌ ﴿١٨﴾ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

ပုံနှိပ်

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً رسول الله.

إن القرآن الكريم كتاب الله المعجز في سوره وآياته، الكتاب الذي لا تنتهي أسرارُه، فكلما ازددت تدبراً وتأملاً فيه، انكشفت لك معاني وحقائق متجددة، فيها سعادة الدنيا والآخرة، فالقرآن الكريم يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل، قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلتي هِيَ أَقْوَمُ) [الإسراء:09]، وأهم ما جاء القرآن لإثباته وتصحيحه العقيدة، فهي أصل الإسلام وبدونها لا تُقبل الأعمال والأقوال، قال تعالى: (لَيْسَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الزمر:65].

ومما يلاحظ في عصرنا الحاضر ابتعاد الناس عن القرآن الكريم والسنة الشريفة، وكثرت البدع ففسدت العقائد، فكان لزاماً علينا العودة إلى المنبع الصافي. ومن السور التي تضمنت الإصلاح والإرشاد إلى الفضائل الإيمانية والأخلاقية سورة الحجرات. وتعتبر سورة الحجرات -محل الدراسة- من السور التي تتضمن حقائق كبيرة في العقيدة والشريعة، والآداب والمعاملات. وهي سورة مدنية ومن خصائص¹ السور المدنية تناول الموضوعات المتعلقة بالأحكام والأخلاق، لذلك سنسعى من خلال هذا البحث إثبات أن من أغراض السور المدنية تناول موضوعات العقيدة أيضاً، فأعطينا لبحثنا هذا العنوان:

" قضايا العقيدة من خلال سورة الحجرات "

أولاً: أسباب اختيار الموضوع

1- أسباب عامة:

- إن هذه السورة العظيمة التي لا تتجاوز ثماني عشرة آية تضمنت حقائق في العقيدة والشريعة والأخلاق والآداب ما يتجاوز عدد آياتها كثيراً²، كل هذا كان جديراً بالدراسة.

¹ فقد كان الغالب في السور المدنية تقرير الأحكام التشريعية للعبادات والمعاملات فكل سورة فيها الحدود والفرائض فهي مدنية أما السور المكية فمن مميزات تأسيس العقيدة الإسلامية في النفوس. (انظر: دراسات في علوم القرآن الكريم لفهد الرومي، ص131-133).

² سعيد حوى، الأساس في التفسير، مج9/ ص5395، (ن: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، دون بلد، 1405هـ)، 1985م ط1.

- أغلب الدراسات السابقة أبرزت جانب التربية والآداب والأحكام التي تضمنتها سورة الحجرات وكانت قضايا العقيدة فرعية فيها ولذلك سنسعى لإبراز هذه القضايا.

2- أسباب شخصية:

- الرغبة في إظهار ما في سورة الحجرات من عقائد خصوصاً ما لم يرد في سور أخرى كعدم التقديم بين يدي الله ورسوله والتفريق بين الإيمان والإسلام.
- اقتراح الأستاذ المشرف للموضوع محل الدراسة.
- إثراء مكتبة الجامعة ببحوث تعم فائدتها على الطلبة مستقبلاً.

ثانياً: إشكالية البحث

من المعروف أن كتب علوم القرآن قد خصت السور المكية بمعالجة جانب العقيدة وأن السور المدنية عالجت جانب التشريع، والملاحظ أن هناك من السور المدنية تطرقت إلى جوانب في العقيدة لم تذكر في غيرها من السور المكية كسورة الحجرات التي تناولت جوانب مهمة من العقيدة ومنه يتحدد لنا التساؤل التالي :

- ما هي القضايا العقيدية التي تناولتها سورة الحجرات؟.

ثالثاً: أهمية البحث

يعتبر موضوع العقيدة من المواضيع بالغة الأهمية والتي استنفذت همم العلماء لدراساتها وسبب ذلك أن بصلاح عقيدة المسلم يكون صلاح دنياه وآخرته، فهي أساس وجوهر الدين كله. وسورة الحجرات ذكرت الكثير من الآداب والأخلاق وتربية المجتمع وتطرقت أيضاً لأمر العقيدة، أهمها التفريق بين الإيمان والإسلام، وهو ما تحتاج إليه الأمة الإسلامية في وقتنا الحاضر. وبذلك كانت هذه السورة جديرة بالدراسة.

إن سورة الحجرات تضمنت أسس وأصول لعالم رفيع نقي له أدب مع الله ورسوله وأدب مع نفسه ومع غيره شرعه الله سبحانه لينظم الفرد والمجتمع¹.

رابعاً: أهداف البحث

- بيان ما تضمنته السورة -كونها سورة مدنية- من قضايا عقيدية كالتوحيد والنبوات وغيرها.
- بيان أثر العقيدة على الفرد والمجتمع.

¹ المرجع السابق.

خامسا: الدراسات السابقة

بعد البحث والاطلاع على شبكة الانترنت، استطعنا أن نصل إلى العديد من الدراسات التي تناولت سورة الحجرات، والملاحظ فيها أنها اعتنت بجانب التربية والأخلاق أكثر من جانب العقيدة، من بين هذه الدراسات التالي:

- منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي على ضوء ما جاء في سورة الحجرات لمحمد محمد الأمين الأنصاري رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السعودية (1403 هـ).

- التربية الوقائية وأساليبها في سورة الحجرات وتطبيقاتها التربوية لخالد بن عوض بن علي الفجر، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية (1421 هـ).

- الإشارات التربوية في سورة الحجرات - دراسة موضوعية - وضى محمد العريفي رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا (2011م).

- فقه الحياة في سورة الحجرات ليحي عوض البقاعي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام الأوزاعي، بيروت (2002م).

ومن الكتب ما يلي:

- البيئات في تفسير سورة الحجرات لعبد المجيد البيانوني (1418 هـ - 1997م).

- حول تفسير سورة الحجرات لعبد الله سراج الدين (1413 هـ - 1992 م).

سادسا: المنهج المتبع في البحث

بأننا سنتطرق لموضوع العقيدة من خلال سورة الحجرات وهو موضوع من عدة مواضيع قد تطرقت لها السورة، لذلك سنتبع في دراستنا منهج التفسير الموضوعي للموضوع في سورة واحدة¹. الذي سيسمح لنا بالبحث عن قضايا العقيدة في السورة - محل الدراسة-.

سابعا: خطوات البحث

- تخريج الآيات القرآنية بذكر السورة ورقم الآية، ثم إعطاء تفسير إجمالي لها وبعدها بيان ما جاء فيها من قضايا عقدية.

- في حالة الاستدلال بالأحاديث الشريفة، اعتمدنا في تخريجها على التأكد من صحتها دون إمام بجميع كتب السنة وذلك بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث.

¹ ويقصد بالتفسير الموضوعي لموضوع في السورة القرآنية اختيار موضوع من موضوعات السورة، والقيام بدراسته من خلال هذه السورة. (انظر: منهجية البحث في الموضوع القرآني لحامد يعقوب الفريح، ص 6).

- قمنا بترجمة لبعض الأعلام والتعريف ببعض المفردات التي تحتاج إلى توضيح في الهامش.
- رد النصوص المنقولة لأول مرة إلى مصادرها الأصلية، بذكر اسم المؤلف، فالمؤلف، ثم الجزء والصفحة، وباقي بيانات الكتاب كافة مع وضع اسم المحقق آخرها، وعند تكرار المرجع ذكرنا المؤلف فالمؤلف ثم الجزء والصفحة، وفي حالة إعادة المرجع وراءه مباشرة، نكتب المرجع نفسه مع الجزء والصفحة، وإن كان في الصفحة الموالية نكتب المرجع السابق مع الجزء والصفحة.
- إعداد فهرس الآيات بذكر الآية والسورة ورقم الآية والصفحة، وفهرس للأحاديث الشريفة بذكر طرف الحديث والصفحة، وفهرس الأعلام وفهرس للمواضيع.

ثامنا: خطة البحث

وقد سلطنا في إعداد هذا البحث الخطوات التالية:

مقدمة وبيننا فيها أسباب اختبار الموضوع، وإشكالية البحث، وأهميته، أهدافه، منهجية البحث، والدراسات السابقة.

وقد جاء هذا البحث في فصل تمهيدي وفيه التعريف بالسورة وفصلين تناولنا في الأول التوحيد ونواقضه واشتمل على ثلاثة مباحث أولها توحيد الربوبية، ثانيها توحيد الألوهية ونواقض التوحيد، وآخرها توحيد الأسماء والصفات. وتناولنا في الفصل الثاني النبوات والغيبيات وآثار العقيدة واشتمل على ثلاثة مباحث أولها النبوات وثانيها الغيبيات وثالثها آثار العقيدة.

ثم خاتمة البحث فيها أهم النتائج المتوصل إليها والتوصيات. كما قمنا بإعداد فهرس عامة وهي فهرس الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، وفهرس الأعلام المترجم لهم وقائمة المصادر والمراجع، وأخيرا فهرس محتويات البحث.

ونسأل الله عز وجل العمل الصالح المتقبل وقلبا خاشعا وعلما نافعا وأن يزيدنا علما وينفعنا بما علمنا. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل النهدي

النعرىف بسورة الهجرة

أولاً: تسميتها

1- الأسماء التوقيفية:

اسمها "الحجرات" ولا يُعرف لها غيره، وذكرت بهذا الاسم في كل المصاحف وكتب السنة والتفسير، وتسميتها بهذا الاسم لذكر لفظ الحجرات* فيها¹، حيث أدب الله فيها جلوف* العرب الذين نادوا الرسول ﷺ، وفي هذا تعليم لهؤلاء الأعراب الأدب مع النبي ﷺ وتعظيمه وتوقيره واحترامه واحترام حرمة بيوت أزواجه².

2- الأسماء الاجتهادية:

سميت بسورة "الأخلاق والآداب" فقد جاء فيها بيان لآداب المجتمع الإسلامي وتنظيمه، كما أرشدت إلى مكارم الأخلاق³.

وما أشار إليه بعض العلماء في تسميتها باسم "الأخلاق والآداب" هي من الأسماء الاجتهادية لها فقد ذكر ابن عاشور⁴، كما أشرنا سابقاً أنها لا تعرف إلا باسم الحجرات والملاحظ أن تسميتها باسم "الأخلاق والآداب" أنه وصف أقرب من أن يكون اسماً للسورة.

ثانياً: نزولها ومناسبتها

1- نزولها وعدد آياتها:

اتفق أهل التأويل أن سورة الحجرات مدنية، وأن عدد آياتها ثمان عشرة آية، وهي السورة الثامنة بعد المائة في ترتيب نزول السور، كان نزولها بعد سورة المجادلة وقبل سورة التحريم ونزلت سنة تسعة للهجرة⁵.

* حجرات هي: بيوت نساء النبي ﷺ الطاهرات رضي الله عنهن، وكانت تسع حجرات، لكل واحدة من زوجاته ﷺ حجرة. (انظر التفسير المنير ج26/ص240).

¹ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج26/ص213، (ن: الدار التونسية للنشر - تونس، دون سنة نشر) دون طبعة.

** يقال: أعرابي جلف، أي جافٍ، والجلْفُ هو: الدَّنُّ وجمعه جُلُوفٌ (انظر الصحاح للفياريابي ج4/ص1339، تهذيب اللغة للهروي، ج11/ص58)

² وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج26/ص240، (ن: دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ) ط2.

³ المرجع نفسه، ج26/ص240، وعبد المجيد البيانوني، البيئات في تفسير سورة الحجرات، ص28، (ن: دار نور المكتبات، جدة، 1418هـ - 1997م)، ط1.

⁴ محمد الطاهر بن عاشور شيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. ولد ودرس بها. عين شيخاً للإسلام مالكيًا. له مصنفات منها: "مقاصد الشريعة الإسلامية" و"التحرير والتنوير" في تفسير القرآن، توفي في 1393 هـ. (انظر الأعلام للزركلي ج2/ص174).

⁵ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26/ص213.

2- مناسبتها:

2-1- مناسبتها لما قبلها - سورة الفتح - :

تظهر مناسبتها لما قبلها من نواح ثلاث هي¹:

1- في السورة الفتح ذكر حكم قتال الكفار وقال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ) [الفتح:29]، وفي سورة الحجرات حكم قتال البغاة قال تعالى: (وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِتَّفَقُوا بِأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتِ إْحِدِيهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ بَغْتًا خَفِيَةً فَلَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ الْبِغَاةِ شَيْءٌ مِّنْ دُونِهَا وَلَئِن بَغَتْ أَجْزَاكُم مِّنَ النَّاسِ لَتَأْتِيَنَّكُم مِّنْ دُونِهِم مَّخْبِئَاتٌ وَعَذَابٌ عَظِيمٌ) [الحجرات:09].

2- وجاء في خاتمة سورة الفتح قوله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الفتح: 29] وافتتحت هذه بقوله: (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) [الحجرات:01] وفيها تذكير لوصفهم وحرمتهم عند الله تعالى كما الذي يستدعي المحافظة على هذه المكانة وذلك يكون بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ.

3- جاء في السورتين تشريف وتكريم لرسول الله ﷺ، خصوصا في مطلع كل منهما، والتشريف يستدعي من المؤمنين الرضا بما رضي به الرسول ﷺ، وأن يلتزموا قولا وفعلا في احترامه وتوقيره.

2-2- مناسبتها لما بعدها - سورة ق -:

أخبر الله تعالى في آخر سورة الحجرات حقيقة حال الأعراب وأنهم لم يصلوا إلى الإيمان الحقيقي قال تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا فَلَمْ نُوْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا) [الحجرات:14]، وافتتحت سورة ق بوصف إنكار المشركين نبوة النبي ﷺ². قال تعالى: (قَدْ ءَاذَنَّاكَ أُولَئِكَ بِالْحَقِّ لَئِن جَاءَهُمْ مُّندِرٌ مِّنْهُمْ يَقُولُوا هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَدَا مِثْنًا وَكُنَّا ثُرَابًا دَاخِلًا) [ق:01-03].

2-3- مناسبة أولها بآخرها:

ختم السورة بعلم الله تعالى لغيب السموات والأرض وأنه تعالى محيط بكل عمل في السر كان أو العلن، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) [الحجرات:18]،

¹ الزحيلي، التفسير المنير، ج26/ص 540-541.

² المرجع نفسه، ج26/ص 606.

وهذا زجر عظيم لمن قدم بين يدي الله تعالى ورسوله ﷺ. فإنه لا تهديد أبلغ من إحاطة العلم، فكأنه قال: لا تقدموا بين يديه فإن الله محيط العلم فهو يعلم سرهم وجهرهم، فقد رجع هذا الآخر إلى الأول¹.

2-4- مناسبة الآيات فيما بينها:

قال تعالى: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) [الحجرات: 01] إلى قوله (وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ) [الحجرات: 05] أمرهم بآداب تناسب عليّ إيمانهم وذلك بتنزيه أعمالهم لكي لا تظهر أنها صدرت عن عدم اكتراث في الخطاب، وبأن يطابقوا سرهم عندهم، (إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولٍ أُوذِيَكَ الَّذِينَ اِمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِتَتَفَوَّى لَهُمْ مَغْمِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) [الحجرات: 03]، ثم عرفوا بسوء حال من عدل عن هذه الصفة² فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) [الحجرات: 04].

ثم تحدثت السورة عن جملة من المناهج الاجتماعية التي فيها صلاح للفرد وللمجتمع معا وهي التثبت في الأخبار في قوله تعالى: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ بِأَسْوَأَ بُنْيَانٍ فَتَّبِعُوهُ) [الحجرات: 06- 08]. وحل الخلاف في قوله تعالى: (وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اِجْتَبَاكُمْ فَانطَبَقَا بِهِمَا قُلُوبَهُمَا) [الحجرات: 09-10]. ثم ذكرت جملة من الآداب والأخلاق فقال

تعالى: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ) [الحجرات: 11-12]. والالتزام بهذه

المناهج هي من صميم عدم التقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ الذي تكلمت عليه الآية الأولى ثم بينت عن صدور البشرية من أصل واحد وأن لا كرامة إلا بالإيمان والتقوى، اقتضى الأمر بعدها الحديث عن حقيقة الإيمان والإسلام ببيان حقيقة حال الأعراب الذين امتنوا على الرسول بإسلامهم، وبيان أن المنة لله وحده على هدايته لهم، وختمت السورة بالإخبار عن علم الله لغيب السماوات والأرض فلا تخفى عليه خافية بما في ذلك ما يعملون، وذلك من قوله تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا) [الحجرات: 14]، إلى قوله تعالى: (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [الحجرات 15-18].

¹ برهان الدين بن البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج18/ص395، (ن: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1402هـ، 1971م)، دون طبعة.

² أحمد بن إبراهيم الثقفي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص 169، (ن: دار ابن الجوزي، السعودية، 1428 هـ)، ط1، تح: سعيد الفلاح، تق: عبد الله التركي.

ثالثا: أغراضها والوحدة الموضوعية لها

1- أغراضها:

1-1- تعليم للمسلمين آداب التعامل مع النبي ﷺ في خطابه واحترامه وتوقيره¹. والالتزام بهذه الآداب نحوه ﷺ يكون دليلا على الإيمان الذي في صدورهم، كما يشترط في هذا الإيمان تقبل الأعمال الظاهرة، والقيام بها بكل شروطها، فتكون دليلا على سرهم، وحجة شاهدة لهم².

1-2- كما بينت السورة وجوب صدق المسلمين فيما يخبرون به، والتلبث في نقل الخبر مطلقا، وأن ذلك هو خلق المؤمنين، وإظهار كيفية فض القتال بين المسلمين والإصلاح بينهم لأنهم إخوة، وبيان ما أمر الله به من آداب المعاملة الحسنة بين المسلمين³.

2- الوحدة الموضوعية* لسورة الحجرات⁴:

هذه السورة الكريمة تحدثت على أرفع وأعلى الأخلاق والآداب، حيث ابتدأت بأصل إيماني عظيم تحدثت عنه الآية الأولى وهو توحيد التلقي عن الله تعالى ورسوله ﷺ في كل شي، وهو أيضا أصل أخلاقي تربوي انتظمت تحته سائر الآداب التي تتحدث عنها باقي الآيات. كما أن الرابط بين آيات السورة من أولها لآخرها هو الإيمان وما يقتضيه من حقائق في العقل والقلب وفي ميدان العمل والسلوك والذي تُعد خلاصته في الكلمة الجامعة لحقائقه كلمة " التقوى".

وأيضا فإن وسيلة التحقق بهذا الإيمان، تعلق القلب بأسماء الله تعالى وصفاته، إيمانا وطاعة لله تعالى واستجابة لنبيه ﷺ في كل أمر ونهي، وذلك ما دلت عليه الآية الكريمة الأولى، فقد افتتحت بالأمر بتوحيد التلقي عن الله تعالى ورسوله ﷺ في كل شأن، وعدم التقدم على أمر من أمرهما، ثم أمر بتقواه تعالى وربط بين ذلك باسمين من أسمائه تعالى السميع العليم.

بعدها تحدثت السورة في جملة من الآيات على الآداب اللازمة تجاه رسول الله ﷺ وبيان مكانته وحرمة وما خصه الله تعالى من خصائص ترفعه على سائر البشر، فيكون هذا

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26/ ص 213- 214.

² إبراهيم بن عمر البقاعي، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج3/ ص 6، (ن: مكتبة المعارف، الرياض 1408 هـ - 1987م)، ط1، تح: عبد السميع حسنين.

³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26/ ص 214.

* الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية تعني وحدة القضية التي تعرض لها السورة بحيث تكون أجزاؤها كلها فرعا لهذه القضية وجزءا منها. (انظر: منهج التفسير الموضوعي لسامر رشواني، ص291)

⁴ البيانوني، البيئات في تفسير الحجرات، ص28-32.

الأثر البديهي للإيمان به الذي تكلمت عليه الآية الأولى فيظهر ارتباط هذه الآيات بذاك الأصل.

ثم بينت السورة جملة من المناهج التي يلتزم المسلمون بها كمنهج التثبت في تلقي الأخبار والبعد عن أي استجابة ما لم تتوفر لها دلائل الصدق والدقة، والالتزام بمنهج الحق هذا والبعد عن العصبية والهوى هو من صور عدم التقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ، ذكر بعدها المنهج الذي يلتزم به في حل الخلاف بين المسلمين، ويُشهر فيها المسلم السلاح في وجه أخيه المسلم، ويكون بإتباع منهج الله وهدى رسوله لحل الخلاف وهذا ما يقتضيه الإيمان بالله ورسوله ﷺ. وتحكيم شرع الله، كما يجب على المتخاصمين أن يلتزم بالصلح والحكم بالقسط بينهم، والالتزام بهذا أيضا هو من صور عدم التقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ. جاء بعدها الحديث عن المنهج الذي يربط المؤمنين في مجتمعاتهم ومعاملاتهم، ويعتبر هذا المنهج أمهات الأخلاق الاجتماعية، ويظهر ارتباط هذا المنهج بالأصل الإيماني الذي أمرت به الآية الأولى وهو عدم التقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ. وذلك لأن هذه الأخلاق والآداب مرتبطة ارتباطا وثيقا بالإيمان بالله. والالتزام بهذه الأخلاق لابد أن يحقق العبد عبوديته لربه ومقتضياتها، وهو من صميم عدم التقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ.

كما بينت السورة أصل خلق البشرية جميعا، وأنه لا فضل ولا كرامة لأحد على أحد إلا بالإيمان والتقوى، وهنا اقتضى الحديث على حقيقة الإيمان والإسلام، والرد على أولئك الذين زكوا أنفسهم، فامتنوا على الله ورسوله ﷺ بإيمانهم وهذا من صور التقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ، فبين الله تعالى أن له وحده المنّة على هدايتهم لإيمان، فوضح لهم حقيقة الإيمان ومقتضياته، حتى لا تلتبس على أحد. ختمت السورة ببيان علم الله تعالى المحيط بكل شيء، وأنه سبحانه وحده المطلع على الغيب، وكما ختمت الآية الأولى بذكر اسم الله العليم، ختمت الآية الأخيرة أيضا بصفة العلم لله تعالى، فما أجملها من خاتمة ربطت أول السورة بآخرها.

ومن خلال ما تقدم يظهر ارتباط آيات هذه السورة الكريمة بالأصل الإيماني والتربوي الذي تكلمت عنه الآية الأولى وهو عدم التقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ، وبالالتزام ما أمرت به كل آية يتحقق قوله تعالى: " لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ " فتظهر بذلك وحدة السورة من أولها إلى آخرها. وهو أيضا أصل قرآني دلت عليه آيات أخرى منها قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ

يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُّبِينًا) [الأحزاب:36].

الفصل الأول

النوم واليقظة

سورة الحجرات

تمهيد

يُعد توحيد الله بأنواعه الثلاثة هو أصل الإيمان وعليه تقوم باقي الأمور العقديّة، ولا تمر سورة من سور القرآن الكريم إلا ويتكرر ذكر الله فيها مرات عدة فتربط القارئ بربه سواء بذكر أنه رب هذا الكون أو أنه وحده الإله الذي يعبد أو ذكر أسماءه الحسنی وصفاته العلی.

وسورة الحجرات كباقي السورة الكريمة قد ذكر فيها توحيد الله عز وجل، وفي هذا الفصل سنتطرق إلى بيان ما جاء فيه من توحيد، من خلال حصر الآيات التي تناولت التوحيد ودراستها، من خلال دراسة المباحث الآتية:

المبحث الأول: توحيد الربوبية في سورة الحجرات

المبحث الثاني: توحيد الألوهية ونواقض التوحيد في سورة الحجرات

المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات في سورة الحجرات

المبحث الأول: توحيد الربوبية في سورة الحجرات

سنتناول في هذا المبحث بيان ما اشتملت عليه سورة الحجرات من قضايا عقدية في توحيد الربوبية، وسنقوم باستخراجها ودراستها عن طريق تقديم التعريفات اللغوية والاصطلاحية ثم حصر الآيات حسب موضوعها فتفسيرها ثم استخراج ما فيها من دلالات على توحيد الربوبية.

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية لغة واصطلاحاً

أولاً: التوحيد لغة

التوحيد نسبة إلى وحد، والواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الإفراد وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله¹. والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة².

ثانياً: التوحيد اصطلاحاً

التوحيد هو نفي الكفاء والمثل عن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ونفي الشريك في ربوبيته وعبادته عز وجل، قال تعالى في نفي الكفاء (فُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ

وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [الصمد: 01-40]، وقال في نفي الشريك في الربوبية

(فُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فُلْ اللَّهُ) [الرعد: 16]. وقال في نفي الشريك في العبادة

(بِعَاغَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) [محمد: 19]³.

فيكون الإيمان بالله تعالى بالإقرار بأنواع التوحيد الثلاثة، واعتقادها، والعمل بها، وهي: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات⁴.

وبناء على ما تقدم فالتوحيد يتحقق بثلاثة أنواع وهي: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وسيأتي تعريف كل نوع في موضعه.

ثالثاً: الربوبية لغة

الربوبية نسبة لاسم الله "الرَّبُّ"، ومعناه إصلاح الشيء والقيام عليه، والله جل ثناؤه الرب لأنه مصلح أحوال خلقه. والأصل الثاني: لزوم الشيء والإقامة عليه⁵.

¹ أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج6/ ص 90، (ن: دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، 1392هـ - 1972م)، ط1، تح: عبد السلام محمد هارون.

² الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 514، (ن: دار المعرفة، بيروت، دون سنة)، دون طبعة، تح: محمد سيد الكيلاني.

³ أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص 53، (ن: مكتبة العلوم والحكم، السعودية، 2004)، ط1.

⁴ عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ص 114، (ن: مدار الوطن للنشر، الرياض، 1424 هـ - 2003م)، ط1، مراجعة وتقديم: عبد الرحمن بن صالح المحمود.

⁵ ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2/ص 381.

ويقال: فلان رب هذا الشيء، أي ملكه له قال تعالى: (أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)

[يوسف:42] أي عند مَلِكِكَ، ولا يقال الرب بالألف واللام لغير الله¹.

رابعاً: توحيد الربوبية اصطلاحاً:

توحيد الربوبية هو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده هو رب هذا الكون ومالكة، وهو الخالق وحده، المتصرف، الرازق، المحي والمميت... لا شريك له، والإيمان بقضاء الله وقدره، وخلاصته "توحيد الله تعالى بأفعاله"، قال تعالى: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) [الأعراف:

54]². وعليه فتوحيد الربوبية يشمل أفراد الله تعالى بأفعاله من خلق ورزق وأنه تعالى المتصرف في هذا الكون بمشيئته المطلقة ليس معه شريك آخر يشاركه في ذلك.

المطلب الثاني: توحيد الربوبية في سورة الحجرات

أكدت سورة الحجرات على توحيد الربوبية من خلال إبرازها لما يلي:

أولاً: مقتضيات توحيد الربوبية

جاءت في سورة الحجرات الأمر بعدم التقدم بين يدي الله والالتزام بما شرع به، لأن الله تعالى المتصرف في هذا الكون فما اختار لهم هو الخير.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ) [الحجرات:01].

والمعنى: في قوله " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" أي آمنتم بالله رباً وإلهاً³، قال الإمام الطبري⁴: " يا أيها الذين أقررتم بوحدانية الله ونبوة نبيه ﷺ لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ" لا تعجلوا بقضاء أمر ما، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله"⁵.

ويدل الخطاب في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" أن الالتزام بما أمرهم به هو من مقتضيات الإيمان، وأن في مخالفته يكون نقص في إيمانهم.⁶ فأمرهم الله تعالى بما يقتضيه

¹ أبو منصور محمد الهروي، تهذيب اللغة، ج 15/ص176، (ن: دار الكاتب العربي، القاهرة، 1387هـ - 1967م)، تج: إبراهيم الإبياري.

² الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه، ص 115.

³ أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج5/ص12، (ن: مكتبة العلوم والحكم، السعودية، 1424هـ-2003م)، ط5.

⁴ أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، المؤرخ المفسر الإمام، ولد في أمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها، له: "أخبار الرسل والملوك" يعرف بتاريخ الطبري، و"جامع البيان في تفسير القرآن" يعرف بتفسير الطبري توفي سنة 310 هـ. (انظر الأعلام للزركلي ج6/ص69).

⁵ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج2/ص335، (ن: دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 1422هـ - 2001م)، ط1، تج: عبد الله بن عبد المحسن التركي.

⁶ محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم (الحجرات-الحديد)، ص7، (ن: دار الثريا للنشر، السعودية، 1425 هـ - 2004م)، ط1.

الإيمان به وبرسوله، بالامتثال لأمره، واجتناب نهيه، وذلك بأن يكونوا وراء أمره تعالى، متبعين لسنة رسول الله ﷺ¹. لأن الله تعالى أعلم بحالهم منهم، فما اختار لهم هو الخير، فعلى المؤمن الذي أقر، واعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله المتصرف في الكون، والمدبر له، أن يلتزم ما أمر الله تعالى به، فيناله بذلك هذا الخير.

وهذا النداء الرباني "يا أيها الذين آمنوا"² يربط الأحكام التشريعية والأخلاقية بالإيمان بالله تعالى.² والنداء بوصف الإيمان يربط بين عمل الجوارح وعمل القلوب، ويربط المؤمنين بعبوديتهم لله عز وجل، ويحفزهم للإسراع إلى التلبية الاستجابة. كما أنه يبسر لهم كل تكليف، ويهون عليهم كل مشقة.³ وفيه أيضاً حث للمؤمنين للاهتمام بما يليه من أمر أو نهى، لارتباطه بإيمانهم، فيسارعوا إلى تحقيق ذلك بفعل ما أمر واجتناب ما نهى، فيكمل بذلك إيمانهم. فهذه الأوامر بعد هذا النداء تُعد من مقتضيات الإيمان، فيظهر بذلك الصادق في إيمانه من المنافق.⁴

وفي قوله تعالى: (بِضَلَاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [الحجرات: 08]: أي أن من مقتضيات الشعور بنعمة وفضل الله تعالى بأن حُبب لهم الإيمان، ألا يتقدموا بين يدي الله ورسوله وأن يخضعوا ويستسلموا لقدر الله وتدبيره، فإِنَّه تعالى أعلم منهم أين يكون الخير لهم ورسوله ﷺ رحمة لهم فيما يختار لهم لأنه مرتبط بالوحي من الله تعالى، قال تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) [النجم: 3-4]. لذلك فليدعوا اختيارهم لاختياره تعالى، فالله تعالى يعلم وهم لا يعلمون.⁵

ومنه فالالتزام بأمر الله وعدم التقدم بين يديه، بل أن يكون العبد وراء أمر ربه، يُعد هذا من مقتضيات الإيمان، ومخالفته هو نقص في الإيمان. وأيضاً فإن الشعور بفضل الله ونعمته لتحبيبهم الإيمان في قلوبهم. يقتضي عدم التقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ، وعدم الاستعجال في أمورهم وأن يكونوا خلف أمر الله تعالى منقادين له، لأن الله هو العالم بهذا

¹ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص799، (ن: مؤسسة الرسالة، 1423هـ - 2002م)، ط1، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

* روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال "إذا سمعت الله تعالى يقول: "يا أيها الذين آمنوا" إما خير تُؤمر به، وإما شر تنهى عنه، فأرعه سمعك، واستمع إليه لما فيه من الخير. وقد جاء هذا النداء في هذه السورة به خمس مرات يتصدر موضوعات الآداب التي هي مدار الحديث في سورة الحجرات. (انظر تفسير القرآن الكريم (الحجرات) للعثيمين، ص 07 والبيانات للبيانوني، ص 36).

² البيانوني، البيانات في تفسير سورة الحجرات، ص26.

³ المرجع نفسه، ص34-36.

⁴ عبد الله سراج الدين، حول تفسير سورة الحجرات، ص 11، (ن: مكتبة دار الفلاح، حلب، 1413 هـ - 1992م)، ط1.

⁵ البيانوني، البيانات في تفسير سورة الحجرات، ص 99.

الكون، النافع الضار ففي شرعه يكون كل الخير والفلاح والسعادة، لا بد أن يلتزم به كل مؤمن بالله مقر بأن الله تعالى هو الواهب، المتصرف المدبر وحده لا شريك له.

ثانيا: منة وهداية الله عباده للإيمان

قال تعالى: (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ

وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْتِيَكُمُ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

[الحجرات:07-08]، وقال تعالى: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا فَلَ تَأْتَمِنُوا عَلَىٰ إِيْمَانِكُمْ بَلِ

اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الحجرات:17].

والمعنى: "ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم... الآية أي بهداية الله تعالى وتوفيقه وإعانتة فإنه يزين الحق ويقبح الباطل وإلا امتنع وصول أحد إلى الحق¹. فقرب الإيمان وأدخله في قلوب العباد ثم زينه وحسنه فاختره، فلا يخرج من قلوبهم ولا يفارقها، فالله تعالى وحده خلق العباد وخلق أفعالهم²، وأودع في قلوبهم محبة الحق وإيثاره، ونصب عليه أدلة دالة على صحته، وألقى قبول القلوب والفطر له³، فحبب الإيمان إليهم وزينه. والإنسان إذا فعل الشيء محبة فقط قد تكون عارضة، لكن إذا زينت ثبتت ودامت، ولهذا فالله حبب الإيمان في القلب وزينه أيضا ولهذا يستمر ويثبت عليه⁴، وينتج بسبب هذه المحبة والتزيين الطاعة والولاء لرسوله ﷺ، التي هي طاعة الله عز وجل، فلا يخالفوا ولا يخرجوا عن أمره، وهذا من ثمرات الإيمان الذي تعلق بقلوب العباد. وأيضا بفضل غرس الله الإيمان وتزيين في القلوب وكره إليها الكفر والفسوق والعصيان فلا يجتمع إيمان وكفر ولا يلتقي إيمان بفسوق وعصيان لله ورسوله، فيكره الله الكفر والفسوق والعصيان أيضا بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر، وعدم إرادة فعله، وبما نصب له من أدلة على فساده، وعدم قبول الفطر له⁵. فجعل الكفر مقابل الإيمان، والفسوق مقابل الاستقامة، والعصيان مقابل الإذعان*، وهذا تدرج من الأعلى إلى ما دون، فالكفر أعظم من الفسق، والفسق أعظم من

¹ أبو عبد الله فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب - التفسير الكبير - ج1/ص232، (ن: دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ)، ط3.

² أبو عبد الله شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج16/ص314، (ن: دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384 هـ - 1964 م)، ط2، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.

³ السعدي، تيسير الكريم، ص800.

⁴ العثيمين، تفسير القرآن الكريم (الحجرات)، ص30.

⁵ السعدي، تيسير الكريم، ص800.

* الإذعان هو الانقياد (انظر مقاييس اللغة لابن فارس ج2/ص355).

العصيان، لأن الكفر يُعد خروج من الإسلام بالكلية، وأما الفسق فهو دونه ولكنه من الكبائر كشراب الخمر وما أشبه ذلك، والعصيان هو من الصغائر التي تمحى بالأعمال الصالحة،¹ قال رسول الله: «الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ، مكفّراتٌ ما بينهنَّ إذا اجتنَبَ الكبائرَ»². فمن حُبب الله إليه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان فأولئك هم الراشدون الذين سلكوا طريق الرشد، فاستقاموا على دين الله تعالى. ونلاحظ إضافة هذه الأفعال إلى الله، بدليل قوله بعدها: "فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً" يعني تفضلاً³ أي هذا الخير الذي حصل لعباده هو بفضل الله عليهم وإحسانه، لا بحولهم وقوتهم.⁴ فهو من عنده عز وجل فمن علم الله منه حُسن النية والإخلاص حَبَّبَ إليه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، ويكون قد وُفِّقَ للحق، ومن لم يعلم الله منه حسن النية والإخلاص لم ينل هذه النعمة⁵، قال تعالى: (بَلِّغُوا رِزْقَهُمْ لِيُحْسِنُوا الصَّلَاةَ وَاللَّهُ يَهْدِي السَّبِيلَ لِقَوْمٍ يُقِيَّمُونَ) [الصف: 05].

جاء في الآيتين الكريمتين بيان أن بهداية الله وتوفيقه للمؤمنين يحبب الإيمان إلي قلوب المؤمنين ويزينه فيثبت ويدوم ويكره أضداده، فالله تعالى هو خالق العباد وأفعالهم، ونصب أدلة دالة على الخير والشر، وكل هذا نعمة وفضل من عنده عليهم لا بحول ولا قوة منهم فهو سبحانه المتصرف في هذا الكون، وفي هذا بيان لتوحيد ربوبيته. وقال تعالى: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَ كُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلإِيمَانِ لَوْلَا إِسْلَامُكُمْ لَقُوتِكُمْ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِكُمْ إِلَهُاتٌ لَفُتِنْتُمْ إِنَّكُمْ لِلذَّالِمِينَ هَادُونَ) [الحجرات: 17].

والمعنى: بعد أن بين للأعراب حقيقة الإيمان والإسلام - سيذكر لاحقاً - التفت بالخطاب إلى النبي ﷺ فقال: "يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَ كُمْ" أي على قرص أنكم كنتم مؤمنين حقاً، متدينين بدين الإسلام حقيقة، فلا تذكروا قولكم ذلك على وجه الامتتان أصلاً، فالله رب العالمين وحده له المنة* على كل موجود ولا منة عليه؛ لأنه تعالى يعطي العطاء

¹ العثيمين، تفسير القرآن الكريم (الحجرات)، ص30.

² صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ... مكفّرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، رقم 233.

³ العثيمين، تفسير القرآن الكريم (الحجرات)، ص31.

⁴ السعدي، تيسير الكريم، ص800.

⁵ العثيمين، تفسير القرآن الكريم (الحجرات)، ص31.

* المنة هي النعمة لا يطلب معطيها جزاء ممن أنعم بها عليه، مشتقة من المن وهو القطع من العطاء الذي لا يُراد عليه جزاء. (انظر حول تفسير الحجرات لعبد الله سراج، ص392).

ولا يحتاج إلى الجزاء، فهو الذي وفقكم للاهتداء، إن كان ادعائكم الإسلام صادقا، وإن من أعظم المنن الإلهية على عباده هي نعمة الإيمان، ونعمة إرسال أفضل الرسل¹، قال تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ وَأَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْل لَمِن ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [آل عمران: 164].

إن الإيمان هو أكبر المنن التي ينعم بها الله على عباده، فهي أكبر حتى من منة الوجود التي يعطيها الله للعبد وكل ما تعلق بها من آلاء الرزق والصحة والمتاع².

في الآية الكريمة بيان أن الله هو الذي يمن بالاهتداء للإيمان على عباده، وهي أعظم منن الله تعالى؛ فلا يغفل المؤمن الصادق في إيمانه عنها وليتوجه إلى ربه بالشكر والحمد عليها؛ كما أن اعتراف العبد المؤمن بها يتحقق به توحيد الربوبية لله عز وجل .

ثالثا: الاعتقاد الجازم بأن الله هو الخالق

الخلق عبارة عن الإيجاد والتكوين، والإخراج من العدم إلى الوجود؛ فالله تعالى وحده أبداع الكائنات وأنشأها وأخترعها من العدم³.

قال تعالى: (يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات: 13].

والمعنى: يخبر الله تعالى الناس بأنه هو الذي خلقهم، وأن الغاية من جعلهم شعوبا وقبائل هي التعارف والتعاون، وأن في اختلاف هياتهم وألسنتهم؛ تنوع لا يؤدي إلى الفرقة والخصام؛ بل هو للتآلف وإكمال بعضهم البعض⁴؛ وهذا التقسيم جعلهم شعوبا وقبائل الذي ألهمهم الله إليه هو نظام محكم لشد أواصرهم وربطهم ببعضهم، ولتسهيل تحصيل عيشكم ورزقكم، ولكنهم حرفوا الفطرة التي خلقهم الله عليها وقلبوا الوضع فأصبح اختلافهم سبب تتاحر وعدوان بينهم⁵.

ثم بين تعالى أن الكريم عنده هو التقى فيزول بذلك كل أسباب النزاع والخصام بينهم، وترخص جميع القيم التي تتسابق الناس إليها. ويظهر سبب ضخم للألفة بينهم والتعاون وهو ألوهية الله للجميع⁶. وتعد الآية مقدمة لما يريد الله أن يبينه بعدها من حقيقة الإيمان ومقتضياته⁷.

¹ عبد الله سراج الدين، حول تفسير سورة الحجرات، ص 392-393.

² سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 26/ ص 3351، (ن: دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1423هـ - 2003م)، ط 32.

³ فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب ج 6/ ص 357، وتقي الدين بن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 13/ ص 233، (ن: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416هـ - 1995م)، دون طبعة، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

⁴ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 26/ ص 3348.

⁵ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 26/ ص 260.

⁶ سيد قطب، الظلال، ج 26/ ص 3348.

⁷ البيانوني، البيئات في تفسير سورة الحجرات، ص 174.

وعليه فهذه الآية الكريمة بيان للناس جميعاً أن الله هو خالقهم قال تعالى: (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ) [الواقعة:57]. وأنه تعالى مرشدهم إلى طريقة العيش وكسب الرزق، فتكون الألفة بين الناس ويظهر سبب ضخم لهذه الألفة وهو ألوهية الله للجميع التي تتضمن ربوبيته عز وجل.

رابعاً: الإيمان الحقيقي بالله سبحانه

قال تعالى: (قَالَ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا فَلَئِمَّا تَمُنُّوا وَعَلَيْكُمْ فَوَلَّوْا أَسْمَانًا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزْتَابُوا وَجْهَهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * فَلِأَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الحجرات:14-16].

نزلت الآيتين في أعراب بني أسد بن خزيمه¹، حين ادَّعوا الإيمان بقولهم "أما"²، وذكر أنهم من الوفود التي جاءت رسول الله ﷺ، في عام الوفود - سنة 9هـ - وكانت سنة جذبٍ* ببلادهم فأسلموا وكانوا يقولون للنبي ﷺ جنناك بالانتقال، والذراري ولم نقاتلك كغيرنا، ويرددون هذه المقالة، ويمنون على رسول الله ﷺ، طمعا في الصدقات فأنزل الله فيهم قوله: (قالت الأعرابُ أمنا) إلى آخر السورة³.

وروي عن ابن عباس أنه قال قدم وفد بني أسد على رسول الله، فقالوا قاتلك غيرنا ولسنا بأقل منهم قوة وعدة، وصلنا رحمتك، قال عطاء بن السائب⁴: فأنزل الله الآية: "يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا"⁵.

ذكر جمهور المفسرين هذه الرواية في سبب نزول هذه الآية منهم: الطبري وابن عطية وابن كثير وابن عاشور، وجميعاً أجمعوا على أن الحديث سبب نزول الآية، فقد ذكر ابن

¹ بني أسد بن خزيمه من قبائل العرب وهم ولد أسد بن خزيمه بن مالك بن نصر ... بن أسد. وديارهم كانت الضفة اليسرى لوادي الرُّمَّة بنجد. (انظر الجمهرة لابن حزم، ص190، ومعجم المعالم لعاتق الحربي، ص302).

² الطبري، جامع البيان، ج21/ ص388.

* جذب يدل على قلة الشيء، فالجذب خلاف الخصب، (انظر مقاييس اللغة لابن فارس، ج1/ص435).

³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26/ ص263.

⁴ عطاء أبو زيد الكوفي بن السائب بن زيد النخعي، أحد علماء التابعين، روى عن عبد الله ابن أبي أوفى، وأنس، وجماعة، توفي سنة 136هـ (انظر ميزان الاعتدال للذهبي، ج3/ص70).

⁵ سنن الكبرى للنسائي، كتاب التفسير، قوله تعالى: (يمنون عليك أن أسلموا)، رقم11455.

كثير¹ في تفسيره لهذه الآية؛ أن بني أسد جاءوا رسول الله وقالوا: أسلمنا وقاتلتك العرب، ولم نقاتلك،² فنزلت الآية: "يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَ كُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" [الحجرات:17].

وهذا السبب موافق للسياق القرآني وقد احتج به جمهور المفسرون لصحة روايته فهو إذا سبب نزول الآية.³

والمعنى: قال الأعراب لرسول الله أمانا حين لم يتمكن الإيمان منهم ويؤكد ما قاله بعدها: "يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا" فمُتُّهُمْ بالإسلام دليل على أن حقيقة الإيمان لم تكن قد استقرت بعد في قلوبهم، ولم تتذوق أرواحهم حالوته⁴، فأخبرهم الله عز وجل بما في قلوبهم؛ وبين لهم أن الإيمان هو التصديق بالقلب وليس مجرد كلمة يرددها اللسان كما قالوا، وهذا لكي يكون إيمانهم خالصا في قلوبهم فقال تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ". وقوله تعالى "ولكن قولوا أسلمنا" يعلمهم الله تعالى بالفرق بين الإيمان والإسلام فالإسلام مقرر اللسان والأعمال الظاهرة، كما بينه النبي ﷺ ردا على سؤال جبريل ﷺ حين سأله عن الإسلام: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»⁵؛ فخص الرسول ﷺ الإسلام بالأعمال الظاهرة من نطق بالشهادة وصلاة.. إلخ.

وقوله تعالى: "قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا" تكذيب وتأديب لهم فهم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم⁶، وليعلموا أيضا أن الله عالم بباطنهم، فهو سبحانه يعلم أن قلوبهم لم تطمئن بعد لعقائد الإيمان، وأنه لا يعبد بالإسلام إلا إذا قارنه الإيمان، فالإيمان والإسلام لا يغني أحدهما عن الآخر، لأن الإيمان دون إسلام عناد، والإسلام دون إيمان نفاق، ويجمعهما طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ⁷، كما يظهر من قوله تعالى: "قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا

¹ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، حافظ، مؤرخ وفتي، ولد بالشام، ورحل في طلب العلم، توفي بدمشق في سنة 774 هـ. تناول الناس تصانيفه في حياته، من كتبه "البداية والنهاية"، و"تفسير القرآن الكريم" وغيرهما. (انظر الأعلام للزركلي ج1/ص320).

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج13/ص176. (ن: مؤسسة قرطبة للطبع والنشر، القاهرة، 1421هـ - 2000م)، ط1، تح: مصطفى السيد محمد وآخرون.

³ خالد بن سليمان المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن - من خلال الكتب التسعة - ، ص928-930، (ن: دار ابن الجوزي، السعودية، 1427هـ)، ط1.

⁴ سيد قطب، الظلال، ج26/ص3350.

⁵ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامات الساعة، رقم 08.

⁶ أبو البركات عبد الله النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج3/ص358، (ن: دار الكلم الطيب، بيروت، 1419 هـ - 1998م)، ط1، تح: يوسف علي بديوي، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج13/ص175.

⁷ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26/ص264.

وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا" أن الإيمان أخص من الإسلام وهو مذهب أهل السنة والجماعة ويدل عليه حديث جبريل عليه السلام فقد سأله أولاً عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، فترقى في سؤاله من الأعم إلى الأخص، ثم للأخص منه¹. فصح الله لهم مفهومهم للإيمان فهو ليس كلمة تقال وإنما هو عقيدة وعمل في ظل هذه العقيدة، وقد فرق الرسول بين الإيمان والإسلام حين سأله جبريل عن الإيمان فقال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»² فخص الإيمان بأمر تكون بالاعتقاد، وأما قولهم أمانا هو بمثابة التلطف بالشهادة فقط فهذا إسلام وليس إيمان وبذلك فهم مسلمون تحفظ أموالهم ودمائهم ولا يُعتبرون مؤمنين، قال ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ...»^{3 4}.

وقوله تعالى: "وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ" فيها بيان السبب كونهم ليسوا مؤمنين فالإيمان لم يدخل إلى قلوبهم بعد بل لا زالت كلمة على لسانهم فقط.

وقوله تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ" فالمؤمنون هم الذين آمنوا بالله ورسوله ولم يخالط إيمانهم شك، والآية فيها انتفاء* الإيمان عن الأعراب بسبب انتفاء هذه الصفات عنهم، فالمؤمنون الكمل هم ثابتون على الإيمان الحقيقي، وهو التصديق المحض، ثقة في الله عز وجل وسعياً لنيل رضوانه، وكان هذا الإيمان في قلوبهم على يقين لا يزعه شيء من أغراض الدنيا ولا يغيره، وهذه حقيقة المؤمنون التي لم يحققها الأعراب؛ فمن هز قلبه أي عارض وضعفت نفسه عند البلاء، فإيمانه غير خالص فيه شك وارتياب، فإن اختبر ظهر ضعفه ولم يصمد عندها علّمت حقيقة إيمانه، وميدان الابتلاء والاختبار الحقيقي هو الجهاد، فمن قدم ماله ونفسه قربانا لله عز وجل؛ وسعى لنيل رضاه، ظهر صدق الإيمان في قلبه، لأن المؤمن قد يؤدي ما عليه من صلاة وصوم وغيرها من أعمال الظاهر، ولكن حين يمتحن في ماله ونفسه بالجهاد في سبيل الله عز وجل، قد يخشى على ماله، ويحرص على سلامة نفسه، ووقتها يظهر الصادق من غيره⁵، قال تعالى: (أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) [العنكبوت: 02-03].

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج13/ص174.

² صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامات الساعة، رقم 08.

³ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم 20.

⁴ عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج13/ص456، ن: دار الفكر العربي، القاهرة، دون سنة، دون طبعة.

* انتفاء من نفى وهو تعرية شيء من شيء وإبعاده منه. (انظر مقاييس اللغة لابن فارس، ج5/ص456).

⁵ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج13/ص175 وعبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج13/ص458.

ثم قال تعالى: "أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ" أي من آمن بالله ورسوله ولم يرتاب وجاهد بالنفس والنفس في سبيل مرضات الله فأولئك حقا هم الصادقون في قولهم: أماناً¹.

وقوله تعالى: (فَلْ اتَّعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الحجرات: 16].

والمعنى: "اتَّعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ" فيه تكذيب أيضاً للأعراب الذين ادعوا الإيمان فهم يخاطبون الرسول الممدود بالوحي من علام الغيوب، الذي لا تخفى عليه خافية، فكيف تتطلي الأكاذيب عليه²، فالله يعلم ما في السماوات وخفاياها، ويعلم ما في الأرض وما في خباياها، ومن جملة ما يعلمه ما تخفيه نفوسهم، وتكئنه صدورهم، قال تعالى: (وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ

فَاتَّخَذُوا) [البقرة: 235]، وقال أيضاً: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) [غافر: 19]

فجميع ما في الكون من أحياء هو خلقها فكيف لا يعلمها؟!³؛ فهو يعلم حقيقتهم وأنهم أسلموا خوفاً ولم يكن إيمان صادق في قلوبهم.

ويمكن أن نضيف في الفرق بالإيمان والإسلام؛ أن الإيمان الكامل يدخل فيه تصديق القلب واطمئنانه، وإقرار اللسان وإعلانه، وتصديق الجوارح بالطاعة، كما أن الإسلام الكامل يدخل فيه إسلام القلب لله بالإيمان؛ وإسلام الجوارح بالعمل؛ وعليه فمتى ذكر أحدهما شمل حقيقة الآخر⁴، ومنه جاء قوله تعالى: (وَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ *
بِمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ) [الذاريات: 35-36]، أي أخرج الله سبحانه المؤمنين

لينجيهم من العذاب، فلم يجد غير بيت مسلمين منهم مسلمون مؤمنون هم الذين نجاهم، ومنهم مسلمون ظاهراً غير مؤمنين قلباً بل منافقون كامرأة لوط فلم يشملها النجاة، أما إذا أفرد الشارع ذكر الإسلام أو ذكر الإيمان فيشمل أمور الدين كلها فيكون المراد بالإسلام الاستسلام القولي والعملية والقلبي وبالإيمان الإيمان الاعتقادي والعملية والقولي كقوله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) [آل عمران: 19]، فيدخل في الإسلام الدين كله، عقائده الإيمانية

وأعماله وأقواله التكليفية، وأما إذا اجتمع ذكر الإسلام والإيمان فيختص الإسلام بالأعمال والأقوال الظاهرة ويختص الإيمان بالعقائد القلبية كما هو في هذه الآية قال " قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا

¹ عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج13/ص458 وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26/ص267.

² الحجازي محمد محمود، التفسير الواضح، ج3/ص514، (ن: دار الجيل الجديد، بيروت، 1413هـ)، ط10.

³ عبد الله سراج الدين، حول تفسير سورة الحجرات، ص381.

⁴ البيانوني، البيئات في تفسير سورة الحجرات، ص180.

وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا¹ حيث نفى عنهم الإيمان الاعتقادي القلبي وأثبت لهم الإسلام أي الاستسلام الظاهري¹.

ففي هذه الآيات الكريمة أخبر الله تعالى الأعراب بحقيقة حالهم وأنهم قد أسلموا ظاهرا فقط ولا يُعد قولهم: "أما" إيمانا، ثم بين لهم أن الإيمان الحقيقي هو التصديق بالله ورسوله ﷺ دون ارتياب؛ وهو الإيمان الذي يكون صامدا حتى في أصعب المواقف وأصعبها هو الجهاد في سبيل الله تعالى فوقتها يعرف الصادق في إيمانه من غيره. لقد تطرقت سورة الحجرات إلى موضوع توحيد الربوبية؛ فنكلمت بعض الآيات عن مقتضيات الإيمان، دارت كلها حول عدم التقدم بين يدي الله تعالى؛ وهو الأصل الذي انبنت عليه السورة من أولها إلى آخرها، فأمرت المؤمنين بترك أمرهم إلى الله تعالى فهو المتصرف المدبر لهذا الكون كله، يقضي فيه كيف يشاء وقضاه كله خير لهم، كما بينت السورة هداية وتوفيق الله تعالى عباده لتحببهم الإيمان، وتزيينه في قلوبهم، كما جاء ذكر صفة من صفات ربوبيته عز وجل وهي الخلق، وأخيرا تطرقت إلى الفرق بين الإيمان والإسلام ويدخل في هذا كله توحيد الربوبية.

¹ عبد الله سراج الدين، حول تفسير سورة الحجرات، ص 343-346.

المبحث الثاني: توحيد الألوهية ونواقض التوحيد في سورة الحجرات

سنتناول في البحث بيان ما جاء في السورة الكريمة من قضايا عقديّة حول توحيد الألوهية، متتبعين الآيات التي ذكرت توحيد الألوهية أو تضمنته هذا النوع من التوحيد، وذلك يكون بحصرها، ثم ذكر تفسيرها، فاستخراج علاقتها بتوحيد الألوهية.

المطلب الأول: تعريف توحيد الألوهية لغة واصطلاحاً

تم التطرق لتعريف التوحيد لغة واصطلاحاً في مبحث توحيد الربوبية سابقاً.

أولاً: تعريف الألوهية لغة

الألوهية مشتقة من كلمة إله، وألّه يدل على التعبد فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود¹، قال تعالى: (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا بَاعْبُدْنِي) [طه: 14].

ثانياً: توحيد الألوهية اصطلاحاً: هو إفراد الله تعالى بالعبادة بكل ما شرع أن يعبد به من أعمال القلوب والجوارح، وأن لا يشرك معه غيره في شيء منها²؛ أي أن الله تعالى هو الإله الحق ولا إله غيره، وتوحيد الألوهية هو أول دعوة الرسل وآخرها،³ قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل: 36].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية⁴: "العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة كالصلاة والزكاة... وبر الوالدين... والجهاد...، والدعاء والذكر...، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله...، والشكر لنعمة والرضا بقضائه...، وأمثال ذلك هي من العبادة لله. وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له، والمرضية له، التي خلق الخلق لها"⁵.

فمن اتصف بكونه رباً مالكا، خالقاً، رازقاً،...، بيده كل شيء، له صفات الكمال، ومنزهاً من كل نقص، وجب أن يكون إلهاً واحداً لا تصرف العبادة إلا له، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: 56]. وعليه تضمن توحيد الربوبية توحيد

الألوهية⁶.

¹ ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1/ص 127.

² أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص 61.

³ الأثرى، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه، ص 116-117.

⁴ تقي الدين ابن تيمية هو: أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الدمشقيّ الحنبلي، شيخ الإسلام. ولد في حران، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. كان آية في التفسير والأصول، داعية إصلاح في الدين، ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير، وأفتى ودرّس وهو دون العشرين، له تصانيف كثيرة منها "الفتاوى" و"منهاج السنة" وغيرهما، توفي سنة 728 هـ، (انظر الأعلام للزركلي ج1/ص144).

⁵ تقي الدين أحمد ابن تيمية، الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ج5/ص 154-155، (ن: دار الكتب العلمية، دون بلد، 1408هـ - 1987م)، ط1.

⁶ الأثرى، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه، ص 118.

مما سبق فتوحيد الألوهية المسمى أيضا بتوحيد العبادة؛ معناه إفراد الله تعالى وحده لا شريك له بالعبادة -أفعال العباد- الظاهرة والباطنة، لأن الله تعالى هو المتصف بصفات الكمال، المنزه عن كل نقص، وجب بذلك أن يفرد بالعبادة وحده، فيتضح بذلك أن توحيد الربوبية متضمن توحيد الألوهية.

المطلب الثاني: توحيد الألوهية في سورة الحجرات

جاء في سورة الحجرات ذكر عبادات تدخل في توحيد الله في ألوهيته هي:

أولاً: تقوى الله

الوقاية لغة هي: حفظ الشيء مما يؤديه ويضره، والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف¹. واصطلاحاً: التقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص، وفي المعصية: يراد بها الترك والحذر، وقيل: مجانية كل ما يبعدك عن الله تعالى².

والتقوى تُعد من عبادات القلوب، ذكرت في سورة الحجرات خمس مرات: ثلاث منها بقوله تعالى: "واتقوا الله" ومرة بقوله: "امتحن الله قلوبهم للتقوى" وأخرى في قوله تعالى: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" وفيها دلالات أهمها أن التقوى تُعد روح الإيمان، وأن دخول الإيمان في القلوب هو بداية التحقق بها وأن الكرامة عند الله لا تتال إلا بالتقوى³.

قال تعالى: (وَآتَوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الحجرات: 01].

والمعنى: فبعد أن أمر الله عباده المؤمنين، أن لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله، أمرهم الله بتقواه عموماً، وتكون بأن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخشى عقاب الله⁴.

وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ) [الحجرات: 02].

[الحجرات: 03].

والمعنى: "امتحن الله قلوبهم للتقوى" أي اختبارها وابتلائها، فتظهر بذلك أن قلوبهم صلحت للتقوى، ثم وعدهم بالمغفرة والأجر العظيم، وفيها هذا الأجر دليل على أن الله يمتحن قلوب المؤمنين، بالأمر والنهي، فمن لزم أمر الله، واتبع طريق الحق، ولم يتبع هواه، أخلص قلبه فأصبح بذلك صالحاً للتقوى، ومن لم يكن كما أمر، لم يصلح قلبه للتقوى⁵.

¹ الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 530-531.

² علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ص 65، (ن: دار الكتب العلمية بيروت، 1403هـ - 1983م)، ط 1.

³ البيانوني، البيئات في تفسير الحجرات، ص 27.

⁴ السعدي، تيسير الكريم، ص 799.

⁵ المرجع نفسه، ص 799.

وفي قوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الحجرات:10] قال ابن كثير: "واتقوا الله في جميع أموركم لعلكم ترحمون، وهذا تحقيق منه تعالى للرحمة لمن اتقاه"¹.
 أما قوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) [الحجرات: 12] أي اتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه فراقبوه في ذلك، واخشوه؛ فالله تعالى تواب على من تاب إليه، رحيم بمن رجع إليه².

وفي قوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ) [الحجرات: 13] أي أن الكريم عند الله، من كان أشدّ اتقياً لله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، لا من كان أعظم بيتاً ولا أكثر عشيرة³.

وعليه فإن التقوى في السورة الكريمة تحقق بالامتنثال لأمر الله؛ بأداء فرائضه واجتناب نهيه ومعصيته، وأن يشعر العبد رقابة الله له فيخشى عذابه ويرجو رحمته، وأيضاً من التزم بتقوى الله تعالى؛ حقق قوله تعالى "لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ" فهو الأصل الإيماني العظيم لهذه السورة الكريمة الذي أمر بتوحيد التلقي عن الله ورسوله في كل شأن.

ثانياً: طاعة الله تعالى:

جاء في سورة الحجرات الأمر بطاعة الله تعالى ورسوله وذلك في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الحجرات:01].
 وقال تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّ بَيْنَكُمْ وَرَسُولِ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَرَزَقَنَا فِي قُلُوبِكُمْ) [الحجرات:7]، وقال تعالى: (وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [الحجرات: 14].

قد بينا سابقاً - في توحيد الربوبية- أن في قوله تعالى: "لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ" هو من مقتضيات الإيمان، وأنه يجب الالتزام بما شرع الله تعالى؛ لأن الله هو المتصرف في هذا الكون يحكم كيف شاء، وفي الآية أيضاً إثبات لتوحيد الألوهية من خلال فعل ما أمر واجتناب ما نهى؛ ويكون في هذا طاعة الله؛ وبالتالي تحقيق توحيد الألوهية أيضاً في هذه الآية.

¹ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج13/ص 154.

² المرجع نفسه، مج13/ص 167.

³ الطبري، جامع البيان، ج21/ص 386.

قال تعالى: (وَاعْلَمُوا أَن بَيْنَكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ

اللَّهُ حَبَّابٌ إِلَيْكُمْ لَا يَمُنُّ إِلَّا يَمَنَ وَرَبَّنَا، فِي فُلُوبِكُمْ) [الحجرات: 7].

والمعنى: اعلموا أيها المؤمنون، أن فيكم رسول رب العالمين، عالم الغيب والشهادة، فأنه تعالى يخبره بأخباركم، فلا يكذب عليه أحد؛ لأن الله سيكشف لنبيه ﷺ كذبه ويفضحه¹. فلو أطاعكم النبي فيما تخبرونه من أخبار دون تثبت؛ لأصابتكم المشقة والشدة في كثير من أموركم.² وقد بين الله تعالى أنه في شرعه القويم؛ قد رفع الحرج عن العباد قال تعالى: (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [المائدة: 06]؛ فنفى أن يكون دينه حرج، وبيّن أن في شرعه تكون الرفعة للمكلفين فيصلوا إلى الكمال في العقيدة والعمل والقول والخلق؛ فطهر القلوب من العقائد الفاسدة، والنفوس من الأهواء، والأبدان من النجاسات.³ ووجه الربط بين قوله: "لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ" وقوله تعالى: "وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّابٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَرَبَّنَا فِي فُلُوبِكُمْ" أن من مقتضيات الإيمان الذي حبه الله تعالى في قلوب عباده؛ ألا يقع منهم إلا الأعمال الصالحة.⁴

بيّن الله في الآية أن الغاية من التزام منهجه تعالى زوال كل مشقة وشدة على عباده، فلا بد من الالتزام التام بهذا المنهج القويم، ويُعد هذا من صميم عدم التقدم بين يدي الله تعالى، كما أن من مقتضيات الإيمان الذي حبه الله تعالى في القلوب؛ ترك الاستعجال في أمورهم والاستسلام لأمر الله وتدبيره، وأن يتبعوا النبي الممدود بوحى الله تعالى، لأن في ذلك كل الخير والفلاح لهم، كما أن الخضوع لله وحده هو الذي يتفق مع الإيمان.

وقال تعالى: (وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [الحجرات: 14].

والمعنى: في الآية إرشاد لعلاج قلوبهم من ضعف الإيمان، فبطاعتهم لله عز وجل ورسوله يحصل الإيمان، وهي دعوة للأعراب الذين ادعوا الإيمان بأن ينتقلوا من الإسلام إلى الإيمان بغرسه في قلوبهم؛ فيحملهم على طاعة الله ورسوله، وحينها يخلصون إيمانهم كما أمرهم الله تعالى، فيقبل أعمالهم ويجزيهم عليها، وقوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" يُعَلِّمُهُمُ اللَّهُ سَبْحَانَ أَنَّهُ يَتَجَاوَزُ عَنْ كَذِبِهِمْ إِنْ تَابُوا فَيُلْحِقُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ الْحَقَّ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ

¹ عبد الله سراج الدين، حول تفسير سورة الحجرات، ص 74-75.

² الطبري، جامع البيان، ج 21/ص 354.

³ عبد الله سراج الدين، حول تفسير سورة الحجرات، ص 78.

⁴ أبو عبد الله مصطفى بن العدوي، التسهيل لتأويل التنزيل تفسير سورة الحجرات - في سؤال وجواب، ص 65، (ن: دار ماجد عسيري، جدة، 1421هـ - 2000م)، ط 1.

وهذا من فرط رحمته عز وجل بعباده المؤمنين¹. فكرم الله اقتضى أن يجزيهم على كل عمل صالح يصدر منهم إن بقوا على الطاعة والخضوع والاستسلام له².
ففي الآية بيان أن بطاعة الله تعالى يحصل بها الإيمان؛ فيترسخ في القلب حينها وتكون الطاعة بالتزام أمره، وترك نهيه وحينها يجازيهم الله أجرهم كاملاً؛ ما داموا على طريق الله متبعين طائعين له.

المطلب الثالث: نواقض التوحيد من خلال سورة الحجرات

الناقض لغة هو: إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء وهو ضد الإبرام³. واصطلاحاً هو: الاعتقاد والقول والفعل المكفر، الذي يخرج العبد من دائرة الإسلام والإيمان إلى حظيرة الكفر، والعياذ بالله⁴.

ومن محبطات الأعمال التي أشارت إليها السورة الكريمة نذكر منها:

أولاً: التقديم بين يدي الله تعالى

ومن التقدّم بين يدي الله ورسوله ﷺ، البدع بجميع أنواعها (بدع في العقيدة*، وبدع في الأقوال والأفعال**)، قال رسول الله ﷺ: «... إِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»⁵، فالمبتدع كأنه يستدرك على الله ورسوله ويعتبر الشريعة لم تكتمل، وأنه بما أتى به في الدين كملها، وهذا يناقض قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) [المائدة: 03]. فإن كان يرى من وراء ذلك إكمال الدين فهذا يدل على تكذيب قوله تعالى: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ". وإن لم يقصد ذلك، فقد طعن الدين بالنقص. وهذا يُعد ضلالة لأن الله قال: (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) [يونس: 32]، ولهذا يجب على كل أحد علم أنه على بدعة أن يتوب منها، ويرجع إلى الله تعالى ويلزم سنة الرسول ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين

¹ عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج13 / ص 456-457، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26/ص 266.

² سيد قطب، الضلال، ج26/ص 3349.

³ الهروي، تهذيب اللغة، ج8/ص 344، والراغب الأصفهاني، المفردات، ص 504.

⁴ الأثرى، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه، ص 232.

* البدع في العقيدة إما تمثيل، فيثبت لله تعالى الصفات، لكن على وجه المماثلة، فمثلاً يثبت أن لله وجهاً ويجعله مماثلاً لأوجه المخلوقين فهذه بدعة، لأنه لم يكن من طريق النبي ﷺ، وبدعته تكذيب لقوله تعالى: (ليس كمثل شيء) [الشورى: 11]. وإما تكون تعطيل وهو أن ينكر ما وصف الله تعالى به نفسه، فإن كان إنكار جحد وتكذيب، فهو كفر، وإن كان إنكار تأويل فهو تحريف إذا كان اللفظ يحتمله، فإن كان لا يحتمله فيُعد كإنكار التكذيب. (انظر تفسير القرآن الكريم (الحجرات) للعثيمين، ص 9).

** بدع الأقوال هي كابتداع بعضهم تسيبحات أو تهليلات أو أدعية لم ترد بها السنة، وليست من الأدعية المباحة. وأما بدع الأفعال: فهي كالنصفيق عند الذكر، أو التمسح بحجرة قبر النبي ﷺ، أو بغير ذلك. (انظر تفسير القرآن الكريم (الحجرات) للعثيمين، ص 10).

⁵ سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، رقم 4607، حكم الألباني صحيح.

من بعده. فظهر مما سبق أن البدع تُعد من التقدم بين يدي الله تعالى ورسوله ﷺ¹. فإن الله يقول: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) [الحجرات: 01].

ثانياً: كفر العناد والامتناع

كفر العناد والامتناع، ومعناه أن يقر بالله بقلبه ولسانه، ويأبى أن يؤمن، فهو إذا كفر إباء واستكبار؛ ومن الأمثلة الظاهرة على هذا الكفر: الامتناع عن الحكم بالشريعة الإسلامية، ويطبق القوانين الوضعية عوضاً عنها، والأصل أن الحكم بما أنزل الله واجب، وأن الحكم بغيره باطل، لأن الحكم هو حق من حقوق الله عز وجل، قال تعالى: (إِنِ انْحَكَمُوا إِلَى اللَّهِ)

[الأنعام: 57]، وهذا لاختصاصه بنعم الإنشاء والإبقاء؛ كما يُعد الالتزام به مقتضى العبادة وحقيقتها؛ إن مساواة غير الله بالله في التشريع والحكم² يُعد شرك* طاعة واتباع؛ وهو من نواقض التوحيد³ إذ لا طاعة لأحد** في معصية الله عز وجل؛ لما فيها من المفسدة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة:

44]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: "ومن كتم حكم الله الذي أنزله في كتابه وجعله حكماً بين عباده، فأخفاه وحكم بغيره فأولئك هم الكافرون"⁴، فمن بدل حكم حد السرقة مثلاً وفضل غيره من قوانين البشر عليه، فهو كافر قطعاً، ومن لم يحكم به لعلة أخرى غير الجحود والنكران فهو ظالم. كما أن رد أمر من أوامر الله ورسوله ﷺ، فهو خارج عن الإسلام، سواء رده من جهة الشك أو الامتناع عن التسليم، فقد حكم الصحابة بكفر مانعي الزكاة، لأن الله حكم بأن من لم يسلم بما جاء به الرسول ﷺ، بقضائه وحكمه فليس بمؤمن⁵، قال تعالى: (قَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [النساء: 65] وقال أيضاً: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

¹ العثيمين، تفسير القرآن الكريم (الحجرات)، ص 8-11.

² إبراهيم بن محمد البريكان، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية - على مذهب أهل السنة والجماعة -، ص 151، (ن: دار ابن القيم للنشر والتوزيع، السعودية، 1423هـ - 2003م)، ط1.

* الشرك لغة هو: الشُرْكَةُ والمُشَارَكَةُ وهو خلط الملكين أو هو أن يوجد شيء لاثنتين فصاعداً. واصطلاحاً هو إثبات شريك لله تعالى وهو شرك الأكبر أو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، كالتفريق. (انظر المفردات للراغب الأصفهاني، ص 451-452)

³ عثمان جمعة ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ص 327، (ن: مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، 1423هـ - 2003م)، ط4، تقديم: عبد الله عبد الكريم العبادي.

** أما طاعة النبي ﷺ، والسلطان والسيد والأب والزوج فطاعتهم هي بإيجاب الله تعالى لها، (انظر: مدخل لدراسة العقيدة، ص 327).

⁴ الطبري، جامع البيان، ج 8/ ص 456.

⁵ عثمان جمعة ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ص 338-340.

تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» [الحجرات: 01]، ففيها نهي شديد عن تقديم أي أمر على أمر

الله ورسوله ﷺ، فالواجب إتباع سنة رسول الله ﷺ، وتقديمها على غيرها.¹

ومما يخل بتوحيد الربوبية من اعتقد أن من البشر له قدرة في هذا الكون؛ كالظن أن الأولياء عند قبورهم يستطيعون أن ينفعوا أحدا بشيء كتنسير الحاجة أو الشفاء ... ؛ وكمن يخضع خضوعا تاما لأشياخ الصوفية*، ففي الحقيقة هم يعظمون هؤلاء المشايخ والأموات أكثر مما يعظمون الله تعالى؛ ولم يقدر الله حق قدره، والواجب الحذر من هذه الأمور الشركية؛ وتخليص العقيدة منها وليكن الله معبودنا دائما وحده لا شريك له²، قال تعالى (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ لِذِي بَطْنٍ أَلْسَمَتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيئًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [الأنعام: 79].

ثالثا: المن والأذى

ومن محبطات الأعمال أيضا المنّ والرياء والأذى للعباد قال تعالى: (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيقًا وَالنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَإِذَا صَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [البقرة: 264]، فهذا مثل في غاية الحسن حيث بينت الآية الكريمة كيف يذهب المنّ والأذى والرياء بثواب الأعمال؛ فالمنفق الذي ينفق رياءً، والمنان الذي يمن بما أعطى، ومن أتبع صدقته بالأذى؛ فهؤلاء كلهم كرجل ظن أن التراب فوق الحجر هو تربة صالحة للبذر، فبذر فيها وهو لا يعرف أن تحته حجر فظن أنه بذر في مكان طيب منبت فلما جاء الوابل** ذهب بالبذرة كلها. وكذلك يفعل المنّ والأذى والرياء بثواب الأعمال⁴.

وذكر في سورة الحجرات صورة من صور المنّ؛ حين أخبر الله تعالى عن من أولئك الأعراب على النبي ﷺ بإسلامهم. فإن كانت الآية المتقدمة فقد بينت إبطال صدقة المنان وذهاب أجرها، ففي سورة الحجرات كان من الأعراب أعظم؛ فهم منّوا على النبي ﷺ

¹ السعدي، تيسير الكريم، ص 799.

* التصوف هو: التجدد على طريقة خاصة لم تأت بها الشريعة، ولهذا غلب على المتصوفة البدع، والزاهد الذي يحرص على التفرغ للعبادة والزهد في طلب في الدنيا يسمى أيضا صوفيا، بشرط ألا يحدث بدعة، ولكن صفته بالزهد، والرغبة في الآخرة والتقلل من الدنيا، والحرص على أعمال الآخرة، لا يسمى صوفيا في الحقيقة بل يسمى زاهدا فإذا كان زهده لا يوقعه فيما حرم الله ولا يزيد في أعماله عما أوجب الله، ولا يبتدع بل يتحرى الشريعة، في أعماله وأقواله. (انظر فتاوى نور على الدرب لابن باز، جمعها محمد الشويبر، ج3/ص163).

² عثمان ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة، ص 230-231.

** الوابل هو المطر الشديد الضخم القطر، الغليظ العظيم (انظر تهذيب اللغة للهروي ج15/ص 278).

⁴ العدوي، التسهيل لتأويل التنزيل تفسير سورة الحجرات، ص 25-26.

المقيد بالوحي من الله تعالى ومُنْتَهَمٌ هذا كشف أن الإيمان لم يستقر بعد في قلوبهم، فظهرت بذلك حقيقة حالهم.

كما تكلمت السورة كيف ينتقل العبد من الإيمان إلى الكفر، وذلك في قوله تعالى: (يَسَّ

الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتَّبِعْ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ هُمْ الظَّالِمُونَ) [الحجرات: 11].

والمعنى: فبعد أن نهى الله تعالى عن السخرية واللمز والتنازع بالألقاب قال: " يَسَّ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ " أي بسئ ما ناديتم به بعضكم بعد أن نزع عنكم الإيمان، فخرجتم منه بسبب فعلكم ذاك، وأصبحتم فاسقين خارجين عن الإيمان بهذا اللغو الساقط من الكلام؛ فرضيتم لأنفسكم هجر الإيمان؛ وأصبحتم بذلك ظالمين والظلم ظلمات يوم القيامة.¹ وبهذا فالسخرية واللمز والتنازع يخرج العبد من الإيمان إلى دائرة الفسوق؛ وهو شيء مذموم منهى عنه يصبح العبد بسببه ظالم.

جاء في هذا المبحث دراسة لتوحيد الألوهية؛ تبين أن السورة تطرقت لهذا التوحيد من خلال ذكرها للتقوى في عدة مواضع، كما أمر آيات أخرى بالتزام طاعة الله ورسوله ﷺ، التي يكون بها ترسيخ الإيمان في قلب المؤمن من خلال التسليم والانقياد لله تعالى؛ وأن يكون العبد وراء ربه متبعا لنبيه في جميع شؤونه؛ ففي هذا مقتضى العبادة وحقيقتها. كما أشارت السورة إلى نواقض التوحيد حيث نلمسه من خلال النهي الشديدة والترغيب في التزام أمر الله في قوله تعالى: "لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ". ففي هذا النهي بيان أن لا حكم إلا حكم الله وأن التصرف في هذا الكون لا يكون إلا لله، وعليه ففي السورة إشارات لنواقض التوحيد.

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج16/ص 328، والعثيمين، تفسير القرآن الكريم (الحجرات)، ص 41-42 وعبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج13/ص 449.

المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات في سورة الحجرات

إن توحيد الأسماء والصفات هو جزء من الإيمان بالله عز وجل وبه نقر ما لله من أسماء حسنى وصفات العلى، فيكتمل مع توحيد الربوبية والألوهية الإيمان بالله عز وجل. وسنتطرق من خلال هذا المبحث إلى دراسة ما ذكر في سورة الحجرات من أسماء الله وصفاته عز وجل؛ من خلال إيضاح معناها ثم تفسيرها حسب موضعها في السورة.

المطلب الأول: التعريف بتوحيد الأسماء والصفات

أولاً: توحيد الأسماء والصفات لغة

الاسم لغة: هو من العلو¹؛ وبه يعرف ذات الشيء ورفع ذكر المُسمَّى². أما الصفة لغة هي: الأمانة اللازمة للشيء، والحالة التي عليها الشيء من حليته ونعته³.

ثانياً: توحيد الأسماء والصفات اصطلاحاً:

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل له الأسماء الحسنى والصفات العلى، المتصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، متفرد بذلك عن جميع الكائنات. وأهل السنة والجماعة يثبتون ما جاء الله من أسماء وصفات في القرآن والسنة من غير تمثيل ولا تكييف، ولا تعطيل، ولا تحريف*، ويصفون ربهم بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، وقاعدتهم في كل ذلك⁴ قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: 11].

فتوحيد الأسماء والصفات هو الإقرار والاعتراف الجازم بأسماء الله تعالى وصفاته؛ وأن نصفه تعالى بكل ما جاء من أسماء وصفات في القرآن الكريم، وبما ورد في سنة رسول الله ﷺ.

ثالثاً: أقسام أسماء الله من حيث المعاني⁵

1- ما كان دالاً على صفة ذاتية؛ فهي لا تنفك عن الذات، ولا تعلق لها بالمشيئة؛ وهي التي لم يزل الرب ولا يزال متصفاً بها، وهي مثل اسم "العليم" وهو دال على ثبوت صفة العلم، ومثل اسم "السميع" وهي دالة على ثبوت صفة السمع.

¹ ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3/ص 99.

² الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 428.

³ ابن فارس، مقاييس اللغة، ج6/ص 115، والراغب الأصفهاني، المفردات، ص 873.

* التمثيل هو: إثبات المثل للشيء؛ مشابهاً له من كل الوجوه، والتكييف هو: بيان الهيئة التي تكون عليها الصفات، و التعطيل هو: عدم إثبات الصفات، أو إثبات بعضها ونفي الباقي، والتحريف هو: تغيير النص لفظاً أو معنى، وصرفه عن معناه الظاهر إلى معنى لا يدل عليه اللفظ إلا باحتمال مرجوح. (انظر: الإيمان حقيقته للأثري، ص 121).

⁴ الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه، ص 120-121.

⁵ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر، فقه الأسماء الحسنى، ص 37-39، (ن: دار التوحيد للنشر، الرياض،

1429هـ-2008م)، ط1.

2- ما كان دالا على صفة فعلية؛ وهي التي تتعلق بالمشيئة، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها ومثل ذلك اسم " الخالق " وهو دال على ثبوت صفة الخلق، واسم " التواب " وهي دالة على صفة التوبة.

3- ما كان دالا على التنزيه والتقديس كاسم " القدوس " فهو يدل على التقديس والتنزيه، واسم " السلام " يدل على السلامة من النقائص والعيوب؛ فهذه الأسماء تنفي عن أن يكون لله عز وجل ندٌّ، وتنزهه عن كل ما ينافي صفات الكمال والجلال والعظمة.

4- ما كان دالا على جملة من الأوصاف لا على معنى مفرد، مثل اسم " المجيد " فهو يرجع إلى عظمة أوصافه وكثرتها وسعتها، ومثله اسم " العظيم " ويدل أن له كمال العظمة في أسمائه وصفاته وأفعاله.

المطلب الثاني: توحيد الأسماء والصفات في سورة الحجرات

تكرر ذكر أسماء الله تعالى وصفاته كالتالي¹:

اسمه عز وجل العليم ويدل على صفة ذاتية، وقد تكرر أربع مرات، ومعناه: أن الله عالم بالسر والخفي وبالعالم العلوي والسفلي، علم ما كان وما سيكون وما لم يكن أن لو كان كيف يكون، وعلمه عز وجل لا يمكن أن يدركه علم الخلق².

وورد اسم العليم مع الأسماء التالية:

1- مع اسمه تعالى السميع ويدل على صفة ذاتية، وقد ذكر مرة واحدة في سورة الحجرات ومعناه: أن الله لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي؛ قد استوى في سمعه سرُّ القول وجهره، فلا تختلف عليه الأصوات ولا تشببه، ولا يشغله منها سمع عن سمع³.

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الحجرات: 01].

والمعنى: أي سميع لكل الأصوات، وحتى في أخفى المواضع، عليم سبحانه بالظاهر والباطن، والسابق واللاحق.

2- مع اسمه تعالى الحكيم ويدل على صفة فعلية، وذكر مرة واحدة ومعناه: الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، ووصف الله تعالى بالحكمة لأن أفعاله سديدة، وصنعه متقن، والفعل المتقن لا يكون إلا من حكيم⁴.

¹ البيهقي، البيئات في تفسير سورة الحجرات، ص27.

² أبو بكر البيهقي، الأسماء والصفات، ج1/ص121، (ن: مكتبة السوادي، السعودية، 1413 هـ - 1993م)، ط1، تح: عبد الله بن محمد الحاشدي، وعبد الرزاق العباد، فقه الأسماء الحسنى، ص134.

³ أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص90، (ن: الجفان والجابي، قبرص، 1407هـ - 1987م)، ط1، تح: بسام عبد الوهاب الجابي، وعبد الرزاق العباد، فقه الأسماء الحسنى، ص126.

⁴ البيهقي، الأسماء والصفات، ص66.

قال تعالى: قوله تعالى: (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [الحجرات:08].

والمعنى: أن الله يعلم المحسن من المسيء، ويعلم من يستحق فضل الله ونعمه، ومن هو غير أهل لذلك، وأن الله تعالى ذو حكمة في تدبير شؤون خلقه¹.

3- ومع اسم الله الخبير ويدل على صفة ذاتية، وذكر مرة واحدة في السورة ومعناه: أنه لا يتحرك شيء أو يسكن في ملكه إلا عنده خبره². فهو اسم يرجع في مدلوله إلى العلم بالأمور الخفية التي هي في غاية اللطف والصغر³.

قال تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ؛ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات:13].

والمعنى: أن الله ذو علم بأتقى الناس وأكرمكم، خبير بأحوالكم ومصالحكم، فلا تخفى عليه خافية⁴.

4- وجاء في آخر السورة اسمه تعالى العليم منفردا بصيغة فعل واسم من غير أن يذكر معه اسم آخر وهما: يعلم وعليم

قال تعالى: (فَلِأَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الحجرات: 16].

والمعنى: أتخبرون الله بما في ضمائرکم؛ وهو المتصف بالعلم الذي أحاط بما في السموات والأرض⁵. وقد شمل علمه ما تُكنه قلوبكم من إيمان أو كفر، وما فيها من بر وفجور، فكلها يعلمها الله وسوف يجازيكم عنها، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر⁶.

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [الحجرات:18]

والمعنى: أن الله يعلم ما خفي في السماوات والأرض، والذي خفي على العباد، فيعلم سبحانه ما في لجج البحار، وما جنه الليل أو وراه النهار، ويعلم مكنونات الصدور، وخبايا الأمور⁷. قال تعالى: (وَمَا تَسْفُظُ مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا

يَآبِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [الأنعام: 59].

¹ الطبري، جامع البيان، ج 21/ص 355.

² الغزالي، المقصد الأسنى، ص 103.

³ عبد الرزاق العباد، فقه الأسماء الحسنى، ص 138.

⁴ الطبري، جامع البيان، ج 21/ص 387.

⁵ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج 13/ص 176.

⁶ السعدي، تيسير الكريم، ص 802.

* ولجّة البحر بالضم هي تردد أمواجه، ولجّة الليل تردد ظلامه. (انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 448).

⁷ السعدي، تيسير الكريم، ص 802.

وأما اسم الرحيم ويدل على صفة فعلية؛ وقد ذكر ثلاث مرات، ومرة بصيغة الفعل ويدل أن الله تعالى ذو رحمة واسعة عظيمة وسعت كل شيء، وعمت كل مخلوق¹، وقد خص الله المؤمنين باسمه الرحيم²، كما في قوله تعالى: (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) [الأحزاب:43].

وورد اسم الرحيم مع الأسماء التالية:

1- ذكر مرتين مع اسمه تعالى الغفور ويدل على صفة فعلية ومعناه: العظيم الغفر لعباده الذين يرجعون إليه ويتوبون من ذنوبهم³.

قال تعالى: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ) [الحجرات:05]، وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

[الحجرات:14].

والمعنى: أن الله يغفر لمن تاب عن منادة النبي من وراء الحجرات، رحيم به فلا يعاقبه عن ذنبه بعد توبته⁴، فإله تعالى غفور عن إخلال العبد الأدب مع نبيه إن تاب، رحيم به فلا يُعاجل بالعقوبة عنها⁵. والآية الثانية معناه: غفور لمن تاب إليه وأتاب، رحيم به حيث قبل توبته⁶.

2- وجاء ذكر صفة الرحمة في قوله تعالى: (وَإِتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الحجرات: 10]

والمعنى: اتقوا الله تعالى بأن تفعلوا ما أمركم به وتتركوا ما نهاكم عنه؛ لأنكم إذا قتم بهذا فقد اتخذتم وقاية من عذاب الله أي ليرحمكم الله عز وجل إذا انقتموه⁷. فالقيام بحقوق المؤمنين وبتقوى الله، يترتب عليها الرحمة وإذا حصلت الرحمة، حصل خير الدنيا والآخرة، ودل ذلك على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين، من أعظم حواجب الرحمة⁸.

3- وذكر مع اسمه تعالى التواب ويدل على صفة فعلية، ومعناه: أن الله سبحانه يتوب على عباده فيقبل توبتهم وكلما تكررت التوبة تكرر قبولها⁹.

¹ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى، ص200، (ن: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1421هـ)، عدد 112.

² البيهقي، الأسماء والصفات، ص 136.

³ سعد بن عبد الرحمن ندا، مفهوم الأسماء والصفات، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، دون سنة، عدد 46، ص 72.

⁴ الطبري، جامع البيان، ج21/ص348.

⁵ السعدي، تيسير الكريم، ص 799.

⁶ المرجع أعلاه، ص802.

⁷ العثيمين، تفسير القرآن الكريم (الحجرات)، ص36.

⁸ السعدي، تيسير الكريم، ص800.

⁹ البيهقي، الأسماء والصفات، ص 194.

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) [الحجرات: 12].

والمعنى: أن الله تواب على من تاب إليه، رحيم بمن رجع إليه، واعتمد عليه.¹
وذكر اسمه تعالى البصير في آخر السورة مرة واحدة ويبدل على صفة ذاتية، والبصير بمعنى مبصر، فهو سبحانه يرى كل شيء من خلقه دقاً أو جللاً، ظهر أو خفي، لا يحجب عن رؤيته الحواجب التي تحجب عن خلقه الرؤية.²

قال تعالى: (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [الحجرات: 18].

والمعنى: أن الله سبحانه بصير بأعمالكم التي تعملونها، سواء كانت في السر أو الجهر، أو كان عملكم هذا في طاعة أو معصية، فالله مبصر لها كلها وهو مجازيكم على جميع ذلك، فإن كانت خيراً فخير، وإن شراً فشر.³

ومما ذكر في السورة من أسماء الله الدالة على صفات الفعلية هي:

-اسمه عز وجل المنان ودل عليه قوله تعالى: (وَلَيَكُنَّ اللَّهُ حَبَبَ إِلَيْكُمْ لِإِيْمَانٍ وَرِزْنَةً فِي

قُلُوبِكُمْ وَكَرَّةً إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَأَنْتَ بِمَا تَعْمَلُونَ) [الحجرات: 07]-

[08]، وقوله تعالى: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَ كُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ

عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِإِيْمَانٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الحجرات: 17].

والمعنى: المنان هو كثير العطاء، عظيم المواهب، ومن عظيم منه سبحانه، هدايته لعباده إلى سبيل دار السلام، وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم راشدين. وفتح لهم أبواب الهداية، وعرفهم الأسباب التي تدنيهم من رضاه وتبعدهم عن غضبه إلى غير ذلك من أنواع نعمه وصنوف مننه، وقد ذكر سبحانه عباده بمنة الهداية لهذا الدين. ومن عرف ربه سبحانه بهذا الاسم العظيم وأنه وحده ولي المن والعطاء صاحب الهبة والنعماء، أوجب له ذلك أن يحمد ربه على نعمته وأن يشكر على فضله وعطائه.⁴

وفي الآيتين بيان لهداية الله لعباده، فالله هو الهادي لذلك؛ ومعناه أن الله يهدي ويرشد عباده إلى جميع المنافع، وإلى دفع المضار، ويعلمهم ما لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد ويلهمهم التقوى.⁵

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج 13/ ص 167.

² سعد بن عبد الرحمن نداء، مفهوم الأسماء والصفات، ص 63.

³ الطبري، جامع البيان، ج 21/ ص 321.

⁴ عبد الرزاق العباد، فقه الأسماء الحسنى، ص 299-301.

⁵ سعيد بن وهف القحطاني، شرح أسماء الله الحسنى - في ضوء الكتاب والسنة-، ص 89، (ن: مطبعة سفير، الرياض، دون سنة)، دون طبعة.

- وفي سورة الحجرات وصف الله عز وجل نفسه بالمحبة، فقال تعالى: (وَأَفْسُطُوا إِنِّي أَنَا اللَّهُ يُحِبُّ الْمُنْفِصِينَ) [الحجرات:09] أي: العادلين في حكمهم بين الناس وفي جميع الولايات، التي تولوها¹.

- وجاء ذكر اسمه الخالق فالله هو الذي خلق جميع الموجودات وسواها بحكمته، وصورها بحمده²، قال تعالى: (يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) [الحجرات:13].

فيخبر تعالى أنه خلق بني آدم، من وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى³.

إن كل اسم من أسماء الله تعالى يتضمن صفاته سبحانه؛ فاسم "الرحيم" يتضمن ثبوت صفة الرحمة لله سبحانه، واسم "السميع" يتضمن ثبوت صفة السمع لله سبحانه، هكذا نجد أن كل الأسماء الحسنى تتضمن صفات الكمال العليا لله جل وعلا؛ وليست كل صفة من صفات الله تعالى تشتق منها أسماء له سبحانه⁴.

إن قوة الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته؛ يكون العبد على علم، ويقين بأن الله مطلع عليه، ناظر لأفعاله وسامع لقوله، تُثمر في العبد ثمرات عظيمة، قال رسول الله ﷺ حين سأله جبريل ما الإحسان؟ قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»⁵، فبين أن الإحسان مقامين هما⁶:

الأول: مقام الإخلاص، وهو أن يستحضر العبد ربه في كل عمل، وأنه مطلع عليه، قريب منه في كل وقت فيمنعه ذلك من الابتعاد عن الله تعالى والالتفات لغيره.

الثاني: مقام المراقبة، وهو بأن يعمل العبد تحت رقابة الله له بقلبه ويكون بنور القلب بالإيمان، وقوة بصيرة منه، ليصل إلى يصبح الغيب عنده كالعيان، وهو أعلى من المقام الأول وأجل فالمحسن تكون عبادته بأن يستحضر الله تعالى وأنه بين يديه كأنه يراه، فينتج عن ذلك خشية العبد ربه ورجاءه، والهيبة والتعظيم له. ومن آثار قوة الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، حقائق إيمانية توقظ العبد من الغفلة، فترفعه من حال إلى حال أعلى تقربه من ربه أكثر فيصل إلى أن يكون الله ورسوله ﷺ أحب إليه مما سواه، كما يصبح العبد يرى الدنيا على حقيقتها فيشهد حقارتها ويلحظ سرعة زوالها، فيتركها ويرحل في طلب الآخرة.

¹ العثيمين، تفسير القرآن الكريم (الحجرات)، ص 35.

² سعيد بن وهف القحطاني، شرح أسماء الله الحسنى، ص 112.

³ السعدي، تيسير الكريم، ص 802.

⁴ سعد بن عبد الرحمن نداء، مفهوم الأسماء والصفات، ص 82.

⁵ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان ...، رقم 50.

⁶ البيانوني، البيئات في تفسير سورة الحجرات، ص 52-57.

لقد ذكرت سورة الحجرات أسماء الله تعالى وصفاته وربطت هذه الأسماء والصفات بأوامر تجعل العبد المؤمن ثابت على أداء ما أمره الله، مستحضراً ربه في كل وقت وحين فيحقق بذلك توحيد الأسماء والصفات التي تدخل في الإيمان بالله عز وجل.

خلاصة الفصل

من خلال ما تقدم من دراسة لآيات من سورة الحجرات، وفهم معانيها يلاحظ أن سورة الحجرات قد تطرقت، وتضمنت قضية الإيمان بالله بأنواعه الثلاثة، وهي توحيد ربوبيته وألوهيته، وتوحيد الأسماء والصفات، فتطرقت بعض آيات السورة إلى ما يقتضيه الإيمان بالله تعالى متمثلة في أوامر ونواهي، ارتبطت كلها بتوحيد مصدر التلقي عن الله ورسوله ﷺ، أي عدم التقديم بين يدي الله تعالى في كل شأن، وهو أصل إيماني تربوي قامت عليه السورة كلها، كما بينت حقيقة الإيمان والإسلام فكان الإسلام يخص الأعمال الظاهرة والإيمان هو الاعتقاد الجازم الذي لا ينتابه شك بالله تعالى ولا برسوله ﷺ، كما تضمنت بعض الآيات إلى أن الله هو الهادي المانح للإيمان، الذي بتوفيقه يحبب الإيمان في القلوب ويزيئنه. وذكرت بعض العبادات منها التقوى والطاعة وتدخل في توحيد الألوهية.

كما جاء ذكر بعض من أسماء الله وصفاته وبهذا تكون سورة الحجرات قد بينت وتضمنت الإيمان بالله تعالى بأنواعه الثلاثة الربوبية والألوهية والإيمان بأسماء الله وصفاته.

الفصل الثاني

النبوءة والغيبية وآثار
العقيدة في سورة الحجرات

تمهيد:

لقد اعتبر الإيمان بالأنبياء والرسل والغيبيات من أركان الإيمان لقول رسول الله ﷺ عن الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»؛ فيدخل العبد المقر بالنبوات والغيبيات في دائرة الإيمان بذلك.

وقد جاءت في كثير من سور القرآن الكريم ما يخبرنا عن هذه الأمور العقديّة ويأمرنا بالإيمان بها ليكمل إيمان العبد لذلك فهي من أركان العقيدة.

وسنتطرق في هذا الفصل إلى بيان ما جاء في سورة الحجرات من نبوات وغيبيات وسنحاول دراستها متبعين المباحث الآتية:

المبحث الأول: النبوات في سورة الحجرات

المبحث الثاني: الغيبيات في سورة الحجرات

المبحث الثالث: أثار العقيدة من خلال سورة الحجرات

المبحث الأول: النبوات في سورة الحجرات

سندرس في هذا المبحث ما تطرقت إليه سورة الحجرات من نبوات؛ وذلك عن طريق حصر الآيات التي تناولت ذكر النبي أو الرسول، وذكر تعريفات اللغوية والاصطلاحية وتفسرها، بعدها نبين ما جاء فيها من النبوات.

المطلب الأول: تعريف النبي والرسول لغة واصطلاحاً

أولاً: النبي لغة

النبي هو من أنبأ عن الله، فترك همزه، وأخذ من النبوة والنبأوة وهي الارتفاع من الأرض لارتفاع قدره ولأنه شرف على سائر الخلق.¹

ثانياً: النبي اصطلاحاً

النبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله.²

ثالثاً: الرسول لغة:

رسل: يدل على الانبعاث والامتداد.³ وأشتق الرسول من الرسل؛ والرسول يقال تارة للقول المتحمل، وتارة لمتحمل القول والرسالة. والرسول يقال للواحد والجمع⁴، قال تعالى: (يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا نَزَّلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ بَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتِهِ) [المائدة: 67].

رابعاً: الرسول اصطلاحاً

الرسول: هو المبعوث برسالة معينة مكلف بحملها وتبليغها ومتابعتها.⁵

خامساً: الفرق بين النبي والرسول

قال ابن تيمية " فالنبي هو الذي ينبئه الله، فينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه، فهو رسول؛ وأما إذا كان إنما يعمل بالشرعية قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي، وليس برسول"⁶. وعليه فالنبي لم يأتي بشرع جديد؛ فهو يعمل بشرعية من قبله، وقد يبلغ أوامر أو وصايا أو مواعظ كأنبيا بني إسرائيل؛ فقد كانوا على شريعة التوراة فهم كالمجدد لتعاليم

¹ الهروي، تهذيب اللغة، ج15/ ص 349.

² عمر بن سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، ص15، (ن: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، 1410 هـ - 1989م)، ط4.

³ ابن فارس، مقاييس اللغة، ج/ص 292 .

⁴ الراغب الأصفهاني، المفردات، ص352- 353.

⁵ عمر الأشقر، الرسل والرسالات، ص 14.

⁶ ابن تيمية، النبوات، ج2/ص 714، (ن: أضواء السلف، السعودية، 1420هـ-2000م)، ط1، تح: عبد العزيز بن صالح الطويان.

الرسول السابقين، أما الرسول فهو من بُعث بشرع، وأمر بالتبليغ لمن خالفوا أمر الله تعالى.¹

المطلب الثاني: طاعة وتوقير النبي ﷺ في سورة الحجرات

أولاً: طاعة النبي ﷺ في سورة الحجرات

في السورة آيات ذات دلالات واضحة على وجوب طاعة النبي وإتباعه ﷺ، كما جاء في قوله الله تعالى: (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَفْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الحجرات:01]، وقال تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ ؕ إِلَيْكُمْ أَلِيمٌ وَرَيْنَهُ فِي فُلُوبِكُمْ) [الحجرات: 07 – 08]، وقال تعالى: (وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [الحجرات:14].

والمعنى: "لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ" أي لا تقولوا ولا تعملوا إلا تبعاً لما قال الله ورسوله، وما شرع لكم؛ "وَاتَّقُوا اللَّهَ" في ذلك لأن التقدم بين يدي الله ورسوله يدل أنكم أعلم من الله تعالى، وفي هذا زلة كبرى وعاقبتها سوى؛ ومنه فواجب المسلم أن يلتزم بأمر الله تعالى ويتبع هدي النبي ﷺ.² وفيها نهى شديد عن تقديم أي أمر غير أمر رسول الله فإنه متى استبانته سنته وجب تقديمها على غيرها والالتزام بها.³

وقوله تعالى: "لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ" أي لو أطاعكم في جميع ما تختارونه، لأدى بكم ذلك إلى المشقة والحرَج⁴؛ والمقصود به تعليم المسلمين إتباع ما شرع لهم رسول الله من أحكام ولو كانت لا توافق رغباتهم.⁵

ووجه الارتباط بين قوله: "وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلِيمٌ وَرَيْنَهُ فِي فُلُوبِكُمْ" وقوله: "وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ" أي لأن الله حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الإيمان فتقدمون طاعة النبي ﷺ، حتى إذا خالفكم النبي ﷺ في كثير من الأمور التي

¹ عبد الرؤوف محمد عثمان، محبة الرسول بين الإتياع والابتداع، ص15، (ن: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، الرياض، 1414هـ)، ط1.

² أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ج5/ص121.

³ السعدي، تيسير الكريم، ص799.

⁴ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج13/ص148.

⁵ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26/234.

تريدونها؛ فإنكم لن تكرهوا ذلك، ولن تخالفوه، وهذا بسبب جعل الإيمان محبوباً وزينة في قلوبكم بحيث لا تتركونه، لأن فعل الشيء المحبوب الذي زُين ثبتت محبته ودامت¹.

وقد جاءت نصوص حديثية دالة على طاعة النبي ﷺ؛ وأن الواجب على هذه الأمة اتباع نبيها ﷺ؛ والتأسي به في أفعاله وأقواله وأحواله؛ وهذا الأصل سبب السعادة، كما أن ترك ذلك سبب الشقاوة، فقد قال ﷺ: «فعلتكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»²، وقال أيضاً: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا»³.

وفي قوله: " وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا " أي وإن تطيعوا الله ورسوله بأن يكون إيمانكم حق وتقوموا بالفرائض وتجتنبوا المحارم فلا ينقص الله تعالى من أجور أعمالكم الصالحة التي تعملونها طاعة لله ورسوله شيئاً⁴.

ومما سبق يتبين أن هذه الآيات دلت على وجوب طاعة وإتباع النبي ﷺ، وذلك من خلال عدم التقدم بين يدي الله ورسوله في أي أمر؛ والثبات على التزام ما أمر به النبي ﷺ حتى لو خالف رغباتكم؛ لأن في أمره اليسر وعدم المشقة.

ثانياً: توقير وتعظيمه النبي ﷺ

ذُكرت آيات في السورة بينت وجوب توقير النبي وتعظيمه، كما في قول الله تعالى: (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَفْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ إِلَهِ وَرَسُولِهِ ءَاتُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ فُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغِيرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [الحجرات: 01-05].

ففي الآية الأولى تضمنت الأدب مع الله ورسوله ﷺ؛ وكيف يكون تعظيم الرسول ﷺ واحترامه وإكرامه⁵، فمن تأدب المؤمنين مع ربهم ومع رسولهم ألا يقترح أحدهم على الله

¹ العثيمين، تفسير القرآن الكريم (الحجرات)، ص 32.

² سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، ج 4، ص 200، رقم 4607.

³ سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب إتباع سنة رسول الله ﷺ، رقم 2.

⁴ أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ج 5/ص 134.

⁵ السعدي، تيسير الكريم، ص 799.

الفصل الثاني: النبوات والغيبات وأثار العقيدة في سورة الحجرات

ورسوله وأن يتبعوا أمر الله ورسوله، فهذه صورة من الأدب، ومن التقوى، التي يلتزم بها المسلمون بعد سماعهم لهذا النداء.

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ءَأُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَّرَآءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [الحجرات: 01-05].

والمعنى: في هذه الآيات الأدب الثاني اللازم في حديثهم مع النبي ﷺ؛ وتوقيرهم له، هذا التوقير الذي ينعكس على خطابهم معه، ويميز شخص رسول الله بينهم، وفيه أيضا تحذير لمن يخالفه دل عليه قوله تعالى: " أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ". ثم بيّن الله تعالى أن الذين التزموا الأدب في خطابهم مع رسول الله ﷺ فقال: " إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ءَأُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ "، فهم الذين امتحن الله قلوبهم فهيأها للتقوى. فهكذا يربي الله قلوب عباده المختارين، فأستحقت المغفرة والأجر العظيم، فمن لم يلتزم بالأدب مع النبي ﷺ، واحترام حرمة؛ فهم من وصفهم بأنهم لا يعقلون في قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَّرَآءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ " ¹.

وعليه فهذه الآيات وضحت الآداب اللازمة مع رسول الله ﷺ، ويكون بتوحيد مصدر التلقي واحترام وتعظيم حرمة النبي ﷺ، فحثت على عدم رفع الصوت بحضرة رسول الله ﷺ، أو نداءه من وراء الحجرات، فمن التزم بهذه الآداب هم الذين اختص الله قلوبهم للتقوى. وقد وعى الصحابة هذه الآيات فمن أدبهم مع النبي ﷺ ما كان عمر رضي الله عنه بعد نزول هذه الآيات يُسمعُ رسول الله حتى يَسْتَقِيمَهُ أَي يَسْتَوْضِحُ مِنْهُ مَاذَا قَالَ ²، احتراماً له وتوقيراً وخوفاً من إزعاجه وإساءة الأدب معه ﷺ.

المطلب الثالث: الإقرار بالنبوة ومقتضياتها

تحدثت سورة الحجرات على الإيمان بالنبي ﷺ، ومستلزمات الإيمان بنبوته، كما في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

¹ سيد قطب، الظلال، ج26/ص3340.

² ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ج8/ص590، (ن: دار المعرفة، بيروت، 1379هـ)، دون طبعة.

عَلِيمٌ) [الحجرات: 01]، وقال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا

وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ هُمُ الصَّادِقُونَ) [الحجرات: 15]

والمعنى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" أي آمنتم بمحمد نبيا ورسولا. وقد أشرنا سابقا في توحيد الربوبية أن ما بعد هذا النداء يُعد من مقتضيات الإيمان، ومنها الإيمان بالنبى ﷺ، أكدها ما جاء بعده "لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ"؛ ففيها نهي شديد لمن قدم أمرا بين يدي الرسول؛ إذ لا بد على العبد المؤمن في جميع الأمور أن يكون تبعا له ﷺ، وذلك بامتنال أمره واجتناب نهيه ﷺ، فيكون العبد المؤمن المقر بنبوته ﷺ بذلك قد التزم بسنته الشريفة في كل قول وفعل. وقوله تعالى: "واتقوا الله" بعد النهي عن التقدم يفيد أن من تقدم بيد يدي الرسول ﷺ أنه مخالف للتقوى.¹

وفي قوله تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ" أي أن المؤمنين حقا هم الذين صدقوا بالله ورسوله، ولم يرتابوا ولم يشكوا في وحدانية الله تعالى، ولا في نبوة ورسالة محمد ﷺ، وجاهدوا في سبيل الله، فهو لاء هم الصادقون حقا في دعوى الإيمان عن يقين وثبات؛ فوصفهم تعالى بالتصديق الجازم به ورسوله، والثبات وعدم الارتياب.² ويكون الإيمان برسول الله بالإقرار على أنه خاتم الرسل والأنبياء؛ مبلغ الرسالة؛ وأنه عبد الله ورسوله إلى العالمين كافة؛ وأنه الصادق الذي لا ينطق إلا بالحق لقوله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ) [النجم: 03-05]، فكان إيمانهم بالله ورسوله حق وواجب.³

ومما سبق فهذه الآيات تحدثت عن الإيمان بنبوة محمد ﷺ، ومقتضيات هذا الإيمان وذلك بأن يكون المؤمن متبعا لأمره ومجتنبا لنهيه، كما أشارت إلى أن الإيمان الحقيقي بالله ورسوله هو الذي يكون ثابتا لا ينتابه شك ولا يزعه، وأن من دليل هذا الإيمان الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله تعالى، فمن التزم بما سبق فهو العبد الصادق في إيمانه بالله ورسوله ﷺ.

تكلمت سورة الحجرات عن جملة من الآداب والالتزامات التي يجب أن يلتزم بها المؤمن المقر بنبوة سيدنا محمد ﷺ؛ وهي الاحترام والتوقير وطاعته في كل أوامره، وهذا لأنه ﷺ ليس كسائر البشر، لذا فإن مكانته عالية خصها الله تعالى له؛ فلا يخاطب ولا يعامل

¹ السعدي، تيسير الكريم، ص 799، والعثيمين، تفسير القرآن الكريم (الحجرات)، ص 11.

² الطبري، جامع البيان، ج 21/ ص 395، ومحمد علي الصابوني، صفوة التفاسير ج 3/ ص 220، (ن: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، 1417 هـ - 1997 م)، ط 1.

³ الحجازي محمد محمود، التفسير الواضح، ج 3/ ص 514.

الفصل الثاني: النبوات والغيبات وأثار العقيدة في سورة الحجرات

كمعاملة البشر بعضهم البعض، كما بينت السورة صفة الإيمان الحق بالنبى ﷺ ويكون بالتصديق والإقرار بالنبوة له.

في هذا المبحث تحدثت السورة الكريمة عن مكانة النبي ﷺ، وبيان حرمة، وتعظيم مقامه، وأنه يجب على كل مؤمن مصدق بنبوته ﷺ، احترامه والتزام حدوده أثناء مخاطبته لرسول الله ﷺ؛ لأن هذا يُعد من مقتضيات الإيمان به، كما بينت السورة الجليلة كيف يكون الإيمان بالنبي ﷺ؛ وذلك بالتصديق الجازم والاعتقاد بأنه رسول الله وخاتم الأنبياء اعتقاد في القلب، وليس مجرد التلفظ باللسان.

المبحث الثاني: الغيبيات في سورة الحجرات

في هذا المبحث سندرس الغيبيات التي أشارت إليها السورة الكريمة؛ وذلك بجمع الآيات التي تناولت موضوع الغيب؛ وبيان ما يجب بيانه من تعريفات لغوية واصطلاحية، ثم تفسيرها وبيان نوع الغيب الذي أخبرت به.

المطلب الأول: تعريف الإيمان والغيب لغة واصطلاحاً

أولاً: الإيمان لغة

أمن: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، وأما التصديق كقوله تعالى: (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا)

[يوسف: 17]، أي مصدق لنا.¹

ثانياً: الإيمان اصطلاحاً

هو تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.²

ثالثاً: الغيب لغة

الغيب يدل على تستر الشيء عن العيون، والغيب هو ما غاب مما لا يعلمه إلا الله، ووقعنا في غيبة وغيابة، أي هبطة من الأرض يغاب فيها³، قال الله تعالى: (وَأَلْفَوْهُ بِ

عَيْبَتٍ [الْجُبِّ]) [يوسف: 10].

رابعاً: الغيب اصطلاحاً

الغيب هو كل ما غاب عن حس الإنسان، سواء بقي في علم الله وحده، أو كان مما علمه الإنسان بالخبر اليقين من الله عز وجل ورسوله ﷺ، أو علمه الإنسان عن طريق تحليله الفكري، أو استخدامه وسائل كالمناظير.⁴

خامساً: تعريف الإيمان بالغيب

قال ابن تيمية: " وأصل الإيمان هو الإيمان بالغيب كما قال: (أَلَمْ نَكُنْ لَّ رَيْبٍ

بِهِ هُدًى لِّلْمُتَّبِعِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) [البقرة: 01-03]، والغيب الذي يؤمن به ما

¹ ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1/ ص 133 - 135.

² الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه، ص 26.

³ ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 4/ ص 403.

⁴ علي نايف الشحود، الواضح في أركان الإيمان، ص30، (ن: دار المعمور، دون بلد، 1430هـ - 2009م)، ط 1.

أخبرت به الرسل من الأمور العامة؛ ويدخل في ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وملائكته، والجنة والنار¹.

ومن خلال ما جاء في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، فالإيمان بالغيب هو التصديق بما أخبرت به الرسول ﷺ، من أنباء التي لا تعرف إلا عن طريق الوحي، كالإيمان بالله والملائكة واليوم الآخر..... إلخ.

أردنا أن نشير أولاً أن من الإيمان بالغيب الإيمان بالله عز وجل بربوبيته، وألوهيته والإيمان بأسماءه وصفاته، ويُعد أساس الدين، وأول واجب على الإنسان، وعليه يقوم بقية أركان الإيمان، ولذلك يذكر متقدماً عليها، وقد تطرقنا له في الفصل الأول. ويدخل فيه أيضاً الإيمان بالملائكة، والرسل، واليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر؛ وجميعها متعلقة بالغيب فاعتقادها مبني على ما أخبر به النبي ﷺ من وحي².

المطلب الثاني: الإيمان بعلم الله للغيب في سورة الحجرات

قد ذكرت سورة الحجرات أن الله عنده علم الغيب، فلا يخفى عليه شيء في هذا الكون كبيراً كان أو صغيراً، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: (قُلْ أَتَعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الحجرات: 16]، وقوله: (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [الحجرات: 18].

في هاتين الآيتين بيان واضح أن الله تعالى لديه علم الغيب؛ فهو عز وجل عنده علم كل ما في هذا الكون الواسع بسمائه وأرضه، وقد جاءت هاتان الآيتان ضمن الحديث عن الأعراب الذين امتنوا على رسول الله بإسلامهم؛ وبيان حقيقة حالهم الذي لم يكن إيمان حقيقي، بل هو مجرد خضوع واستلام ظاهري فقط.

والمعنى: "قُلْ أَتَعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" أي أتخبرون الله عز وجل أنكم على إيمان حقيقي صادق، والله سبحانه علام لما في السماوات والأرض، فكيف تعلمونه بدينكم، وهو الذي لا يخفى عليه شيء؛ فلن تخفى عليه حقيقة حالكم؛ فاحذروا أن تدعوا للإيمان وأنتم لم تصلوا إليه³. وفي هذه الآية دليل على علم الله تعالى للغيب الذي غاب على الخلق، والذي يتحقق بالإقرار به الإيمان بعلم الله للغيب.

¹ تقي الدين بن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 13/ص 233.

² علي نايف الشحود، الواضح، ص 45-46.

³ الطبري، جامع البيان، ج 21/ص 396، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج 13/ص 176.

بعدها تكرر الإخبار عن علم الله تعالى بجميع مخلوقاته، وأنه سبحانه بصير بما يعملونه،¹ ففيها تأكيد الإخبار بعلم الله؛ وأنه بصير بأعمال المخلوقات، فيتسخ في الأذهان، ويستقر في أعماق القلوب ذلك الخبر،² فقال: "نَّ اللَّهُ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"؛ وقد خص الله تعالى غيب السموات والأرض باعتبار أنها محيطة بالإنسان، فهو يراها ولكنه لا يعلم ما فيهما، وما أودع وما خبا الله تعالى في غيابتها من عوالم وأرواح، ومن ملائكة وأمور أوحاها في كل سماء³، قال تعالى: (وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) [فصلت:12]، وهو سبحانه يعلم غيب ما في الأرض فيعلم ما في لجج البحر، وما في خبايا الأرض، ويعلم أيضا ما في مكنونات البشر، ومنها الإيمان والكفر.⁴

وقوله تعالى: "اللَّهُ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" بعد قوله: "يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"؛ فكانه تعقيب على قوله تعالى: "إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"، وجواب على ما قد يجول بخاطرهم عن يعلم إن كانوا صادقين أم كاذبين، أم من يعلم أن الإيمان استقر في قلوبهم أم لا، فرد الله عليهم بقوله: "إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" فالله يعلم ما غاب عنهم مما في السموات والأرض⁵، فإنه تعالى لا يستتر عنه شيء، وهو بصير بكل ما يعملونه⁶. الإيمان هو شيء خفي غيبي، ولعلمه سبحانه بغيب السماء والأرض، فمن باب أولى أنه تعالى يعلم ما في هذا القلب من الغيب، فهم ما خرجوا عن كونهم في عالم الأرض، وهم داخلون في جملة معلوماته التي لا نهاية لها، فعلمه محيط بكل شيء، كما قال: (اللَّهُ أَلَدَيْهِ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) [الطلاق: 12].

وعليه فقد أكدت الآية الكريمة علم الله لغيب السموات والأرض، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج13/ ص 176.

² الزحيلي، التفسير المنير، ج26/ص272.

³ عبد الله سراج الدين، حول تفسير سورة الحجرات، ص103.

⁴ السعدي، تيسير الكريم، ص802.

⁵ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج13/ ص 461.

⁶ النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج3/ ص 360.

أَلْفَيْمَةً إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [المجادلة: 07] فالله تعالى علام بالغيوب لا يحجب عن علمه شيء بما في ذلك ما أسرته نفوس العباد.

المطلب الثالث: القضاء والقدر في سورة الحجرات

أولاً: القدر لغة واصطلاحاً

قدر لغة هو: كنه الشيء، ونهايته¹. واصطلاحاً هو: علم الله تعالى مقادير الأشياء وأزمانها قبل أن توجد، ثم أوجدها على ما سبق به علمه لها، فكل محدث موجود عن علمه وقدرته وإرادته.²

قال النووي³: " واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة...، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى"⁴.

ثانياً: تعريف القضاء لغة واصطلاحاً

القضاء لغة هو: الحكم، ويكون بمعنى الأداء والإنهاء، لقوله تعالى: (وَفَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ) [الإسراء: 04]، أي أنهيناها إليه⁵. واصطلاحاً هو: ما قضى الله تعالى في خلقه من إيجاد وعدم أو تغيير⁶.

والمقصود بالإيمان بالقضاء والقدر هو الإقرار بأن الله يعلم كل شيء وكل شيء بإرادته ومشيئته وأنه خالق كل شيء⁷.

ثالثاً: الفرق بين القضاء والقدر

وقد يعتقد الكثير أن القدر والقضاء بمعنى أن العبد مجبور على ما قدر له من عند الله تعالى، والصحيح ليس كذلك وإنما معناه الإخبار أن علم الله عز وجل أزلي سابق بكل أحوال العباد، والقدر اسم لما صدر مقدرًا عن فعل القادر كما الهدم اسم لما صدر عن

¹ ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5/ ص 62.

² عمر بن سليمان الأشقر، القضاء والقدر، ص 22، (ن: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، 1425 هـ - 2005 م)، ط3.

³ يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، علامة بالفقه والحديث. كان مولده ووفاته في نوا وهي من قرى حوران، بسورية، تعلم بدمشق، من مصنفاته: "المنهاج في شرح صحيح مسلم" وغيره، توفي سنة 372هـ. (أنظر الأعلام للزركلي، ج8/ ص149)

⁴ أبو زكريا محيي الدين النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج1/ص154، (ن: دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392 هـ)، ط2.

⁵ أبو نصر إسماعيل الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج6/ ص2464، (ن: دار العلم للملايين، بيروت، 1407 هـ)، ط4، تح: أحمد عبد الغفور عطار.

⁶ علي نايف الشحود، الواضح، ص 350.

⁷ المرجع نفسه، ص352.

فعل الهادم، والقضاء في هذا معناه الخلق، كقوله تعالى: (بَفَضِيلِهِمْ سَبَّحَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) [فصلت: 12] معناه خلقهن.

وعليه فإن القضاء من الله تعالى أخص من القدر، لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع، فإذا قضى فلا مدفع له ودليل ذلك قوله: (وَكَانَ أَمْرًا مَّفْضِيًّا) [مريم: 21]، فيظهر أن القدر والقضاء أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء.¹

رابعاً: مراتب القضاء والقدر:

يقوم الإيمان بالقضاء والقدر على أربعة أركان، فمن أقرَّ بها يكون إيمانه بالقدر مكتملاً، ومن أخل بواحدة منها أو أكثر فقد اختل إيمانه بالقدر، وهذه المراتب هي²:

1- الإيمان بعلم الله الشامل المحيط بكل شيء، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وأنه تعالى قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وأجالهم وجميع حركاتهم وسكناتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار.

2- الإيمان بكتابة الله في اللوح المحفوظ لكل ما هو كائن إلى يوم القيامة، وأنه تعالى قد كتب جميع ما سبق به علمه أنه كائن، وفي ضمن ذلك الإيمان باللوح والقلم.

3- الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته التامة، فما شاء كان بقدرته لا محالة، وما لم يشأ لم يكن لعدم مشيئة الله إياه لا لعدم قدرة الله عليه.

4- الإيمان بالخلق الله للعباد فهو سبحانه خالق كل شيء، وأنه ما من ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا فيما بينهما إلا والله خالقها، وخالق حركاتها وسكناتها، لا خالق غيره ولا رب سواه.

ومن الأدلة المبينة لمراتب القضاء والقدر قوله تعالى: (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [الحج: 70]، هذه الآية دالة على

مرتبتي العلم والكتابة، وقال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر: 49]، وفيها دليل

¹ أبو سليمان حمد الخطابي، معالم السنن - شرح سنن أبي داود، ج 4/ص 322 - 323، (ن: المطبعة العلمية، حلب، 1351 هـ، 1932 م)، ط 1، الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 407.

² حافظ بن أحمد الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ج 1/ص 78 - 79، (ن: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، 1422 هـ)، ط 2، تح: حازم القاضي. وعمر بن سليمان الأشقر، القضاء والقدر، ص 26.

على الخلق، وقال تعالى في المشيئة: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا بَعَلُوهُ) [الأنعام: 112].

خامسا : القضاء والقدر في سورة الحجرات

إن إيمان العبد لا يكتمل إلا بالإيمان بالقدر، فهو أصل من أصول الإيمان، فقد قال النبي ﷺ، حين سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان : «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»¹.

وقد جاء في سورة الحجرات الكلام على القضاء والقدر من خلال ذكر مرتبة العلم والخلق نذكرها كالتالي:

1- مرتبة العلم

قال تعالى: (بِضَلَا مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [الحجرات: 08] وقال أيضا: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات: 13]، وقال تعالى: (فَلِأَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الحجرات: 16] وقال أيضا: (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [الحجرات: 18].
فهذه أربع آيات ذكرت علم الله سنتطرق لتفسيرها تفسيراً مختصراً على بيان علم الله، فقد تم التعرض لها سابقاً.

والمعنى: "فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم" أي أن بنعمة الله وفضله حبب الإيمان وكره الكفر والفسوق لعباده، فالله تعالى يعلم أين ينزل فضله، ويوفد روافد نعمه حيث قضت حكمته فلا تخفى عليه خافية².

وقوله تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" أي أن الكرم يكون بالتقوى فأكرمكم عنده تعالى أتقاكم، وهو من كان على طاعة وترك للمعاصي، والله عليم من يقوم بها بتقوى منه ظاهراً وباطناً ممن يقوم بها ظاهراً فقط، فكل سيجازيه بما يستحق³.

وقوله: "وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" أي أن علمه شامل للأشياء كلها، بما فيها ما في قلوبكم من إيمان وكفر، فهو سبحانه يعلم كل شيء، وسيجازيكم بحسب أعمالكم⁴.

وقال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" أي أن الإنسان قد يدعي العلم، وهو في الأصل لا يعرف حتى نفسه، ولا يملك مراقبة نفسه فانشغاله

¹ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامات الساعة، رقم 08.

² عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج 13/ص 444 .

³ السعدي، تيسير الكريم، ص 802.

⁴ المرجع نفسه، نفس الصفحة.

الفصل الثاني: النبوات والغيبيات وأثار العقيدة في سورة الحجرات

بأمور الدنيا وما فيها لا يملك أن يشتغل بمراقبة ومعرفة ذاته، فهو عاجز عن ذلك أما علم الله تعالى فهو علم حقيقي شامل غير محدود ولا موقوت¹.

فهذه الآيات الكريمة تثبت لله عز وجل العلم بجميع ما في الوجود خفياً كان أم ظاهراً؛ فكل لديه علمه لا تخفى عليه خافية سبحانه وتعالى، والإقرار بعلمه تعالى يدخل في الإيمان بالقضاء والقدر الذي هو ركن من أركان الإيمان.

2- مرتبة الخلق

وذكرت في الآيتين التاليتين في قوله تعالى: (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْبُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۗ وَأَنَّكُمْ كُنْتُمْ كَافِرِينَ * فَضَلَّ اللَّهُ مَنِ اللَّهُ نِعْمَةً ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [الحجرات: 07-08]، وقوله تعالى: (يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ ۗ) [الحجرات: 13]، وقال تعالى: (بَلِ اللَّهُ يَمُرُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَبْدِكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الحجرات: 17].

والمعنى: "حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ" أي بهدايته وتوفيقه يحبب الإيمان إلى قلوبكم ويزينه فيها، فلا يفارقها؛ فالله تعالى خالق ذوات العباد قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ" وخلق أيضاً أفعالهم²؛ والإيمان هو من أجل النعم التي أنعم الله بها على العباد، فينبغي أن يكون الله خالفاً لتصديق العبد ولأعمال الطاعات مثل أفعال الصلاة وغيرها، وقد أخبر بذلك بقوله: "بَلِ اللَّهُ يَمُرُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ"، فتكون هذه النعمة من جنس النعم عليه بالعافية والحياة، وأعظم المحن والابتلاء المحنة بالمعاصي، فينبغي أن يكون الله خالفاً لأفعاله فيه؛ لأنها أعراض في العبد فتكون مخلوقة فيه كالأعراض التي فيه من الجوع والخوف³. فمنة الله العظمى تقع بالهداية إلى الإيمان، فالله هو المان عليهم بهذا الإيمان وما يدخل فيه من الإسلام⁴. فهي منه سبحانه تعليماً وإرشاداً وإلهاماً وتوفيقاً ومشيةً وخلقاً⁵.

¹ سيد قطب، الظلال، ج26/ص3350 .

² أبو عبد الله شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج16/ص314.

³ أبو الحسين يحيى بن العمراني، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشعرار، ج2/ص333، (ن: أضواء السلف، الرياض، السعودية، 1419هـ-1999م)، ط1، تح: سعود بن عبد العزيز الخلف

⁴ تقي الدين ابن تيمية، الإيمان، ص295، (ن: المكتب الإسلامي، الأردن، 1416هـ-1996م)، ط5، تح: محمد ناصر الدين الألباني.

⁵ ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص57، (ن: دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1398هـ/1978م)، دون طبعة.

الفصل الثاني: النبوات والغيبات وأثار العقيدة في سورة الحجرات

مما سبق بيان أن الله قد خلق الناس وخلق أفعالها أيضا، ومنها خلقه سبحانه لتصديق العبد وجميع أعمال الطاعات، ومرتبة الخلق هي من مراتب القضاء والقدر، والإيمان بها إقرار بالقضاء والقدر الذي هو ركن من أركان الإيمان.

في هذا المبحث تحدثت سورة الحجرات عن علم الله للغيب، من خلال بيان أن الله له غيب السموات والأرض، وأيضا تطرقت إلى الحديث عن القضاء والقدر وذلك من خلال الحديث عن مرتبة العلم والخلق وهو أيضا يدخل في الغيبات.

المبحث الثالث: أثار العقيدة من خلال سورة الحجرات

إن العقيدة أمر جوهري في حياة المؤمن، فلا يمكن الفصل بينها وبين العمل والعبادة، أو بينها وبين الأخلاق، التي قال فيها رسول الله: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»¹، ففساد العقيدة يؤدي إلى الانحلال والوقوع في الشهوات والمحرمات ورتائل الأخلاق، وصلاح العقيدة يؤدي إلى الاستقامة، وفعل الطاعات واجتتاب المحرمات، وفضائل الأخلاق.

فالعلاقة بين العقيدة والأخلاق علاقة وطيدة؛ فالأخلاق هي من أثار العقيدة، وقد أشارت سورة الحجرات إلى عدة فضائل ومكارم وآداب؛ التي ينبغي أن يلتزم بها العبد المؤمن من خلال تجنب العديد من العادات السيئة التي نهت عنها السورة الكريمة، هذه المكارم والفضائل تُعد نتيجة للالتزام بتوحيد مصدر التلقي عن الله عز وجل ورسوله ﷺ. لقد تضمنت السورة الكريمة مبادئ وأصول، يقوم عليها عالم نظيف سليم يصون الفرد والمجتمع معاً، عالم له أدب مع الله ورسوله ﷺ، وأدب مع النفس ومع الغير²، فتوحيد مصدر التلقي عن الله عز وجل وعن نبيه الكريم ﷺ، في كل أمر، فكما أنه أصل إيماني فهو أصل أخلاقي تربوي، انتظمت تحته سائر الآداب التي تحدثت عنها السورة³، انبثقت من الالتزام بهذه الآداب أثار سمحة انعكست على الفرد والمجتمع معاً.

المطلب الأول: أثر العقيدة على الفرد

أولاً: الأدب مع ربه تعالى ورسوله ﷺ

إن الأدب مع الله تعالى ينبع من الإيمان به عز وجل؛ فالإيمان بأنه الإله الحق الذي تجب طاعته وحده، واعتقاد العبد به داخل قلبه، ينتج عنه التصديق بالعمل وهو مما يقتضيه الإيمان، ومن الأدب مع الله تعالى أن لا يسبق العبد المؤمن إلهه في أمر أو نهى ولا يقترح عليه، فليس من السلوك السوي أن يتعجل المؤمن طلباته في أمور الحياة لأن الله تعالى أعرف منه بما هو صالح له، وأيضاً فالمخلوق لا يعرف ما يفيد في دنياه وآخرته، فقد يستعجل في طلبها ولا يلتزم بما أمر، وقد ذكر القرآن أخبار أقوام اقترحوا على أنبيائهم من أجل أن يؤمنوا، كمن اقترح نزول مائدة من السماء كما في قوله تعالى: (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ

السَّمَاءِ) [المائدة: 112]، إن هذه المقترحات لا تتفق والإيمان الحق بالله تعالى؛ التي تعني الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ولا رب غيره، هو المالك المدبر، وربوبيته سبحانه على خلقه تعني تفرد في خلقهم وملكهم وتدبير شؤونهم؛ أي أن الله تعالى هو الفاعل المطلق في

¹ صحيح الأدب المفرد للبخاري، باب باب حسن الخلق، رقم 207 .

² سيد قطب، الظلال، ج26/ص3335.

³ البيانوني، البيئات في تفسير سورة الحجرات، ص28.

الكون فلا يحق للإنسان الفقير إلى الله تعالى في كل أمر أن يتجراً ويتقدم بين يدي الله باقتراحات تعد بذلك منافية للعبودية.¹

ثانياً: الأدب مع النبي ﷺ

افتتاح الآية الكريمة بقوله: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ بَوِّقِ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا

تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ # ذَلِكَ الَّذِينَ بَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِيَتَفَوَّيَ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) [الحجرات: 01- 03]

هذه آداب أمر الله بها عباده المؤمنين فبين كيف يعاملون الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام؛ فقوله تعالى: " لا ترفعوا أصواتكم ... الآية قيل نزلت في الشيخين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، اختصما عند النبي حين قدم إلى الرسول ﷺ وفد من تميم منهم الأقرع بن حابس، فكلم أبو بكر النبي ﷺ أن يستعمله على قومه، فقال عمر: لا تفعل يا رسول الله، فتكلما حتى ارتفعت أصواتهما عند الرسول ﷺ، فنزل قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا" [الحجرات: 01- 05]، فما حدثت عمر النبي ﷺ بعد ذلك فيسمع النبي ﷺ حتى يستنقهم،² وهكذا عرف الصحابة الإيمان وحقيقته ودخل قلوبهم وأثمر حبا لله ولرسوله والأدب معهما، وعرفوا حقيقة طاعة الله ورسوله الكريم، قال تعالى: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) [النساء: 80]، وفهم المؤمنون قول النبي ﷺ: « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَالِدِهِ »³ وتتمثل محبته ﷺ بكونه الداعي إلى الله ومحبته، وبلغ شريعته، ثم بعد محبة الله تعالى محبة رسوله ﷺ، فما حصل للمؤمنين من خير الدنيا والآخرة كان على يد النبي ﷺ، ولا يدخل أحد الجنة إلا بطاعته وإتباعه، فمحبة النبي والأدب معه ﷺ أمر لازم على أمة إلى أبد الأبد.⁴

¹ محمد شاكر عبد الله الكبيسي، التوجيهات التربوية في سورة الحجرات، مجلة الجامعة الإسلامية، دون سنة، عدد 1/26.

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج 13/ ص 138.

³ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ، من الإيمان، رقم 14.

⁴ محمد شاكر الكبيسي، التوجيهات التربوية، ص 4 - 6.

وقد استدل العلماء بقوله: "لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ" على منع رفع الصوت في مسجده ﷺ، وعند قبره الشريف وعند قراءة حديثه ﷺ؛ فحرمته بعد وفاته كحرمته قبلها، وكلامه المأثور بعد وفاته ككلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر أن لا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه أي يجب الإقبال والإصغاء إليه.¹

ثانياً: أثر العقيدة في تعامل الفرد مع غيره

قال تعالى: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ بِسُوءٍ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا بَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) [الحجرات: 06]، تبين الآية أن تسرع الإنسان بعدم تثبته في قبول الأخبار قد يؤذي غيره وقد يكرهه، وقد يتحدث فيه في المجالس، فيصبح بعد أن يتبين أنه خبر كاذب نادماً على ما جرى منه، ومن ثم جاء التحذير من النميمة، وهي نقل كلام بين الناس بغرض الإفساد بينهم، حتى قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة قنات»² أي نمام³.

وفي قوله تعالى: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّغَابِ بِسَ الْأَسْمِ الْبُسُوفِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُوَاطِئِكُمْ هُمُ الظَّالِمُونَ) [الحجرات: 11]

هذه الآية تُعد مما ورد في حرص الإسلام على كرامة الإنسان، والحفاظ على سمعته والتحذير من المساس بها بأي صورة كانت، فدللت على أن العقيدة الإسلامية ترسي مبادئ الأخلاق الحميدة، والتربية القويمة، فتمنع الناس من استصغار الآخرين، وتأمروهم بالسلوك القويم في احترام بعضهم البعض؛ فنهى الإسلام ألا ينادي المسلم أخاه إلا بأحب الألقاب إليه⁴. ونهى أيضاً أن يسخر الناس من بعضهم البعض، لأن المفضل هو الله عز وجل فلزم من سخريتك بهذا الشخص الذي هو دونك في العلم أو خلق، أو غيرهما، أن تكون ساخراً بتقدير الله عز وجل، فالذي أعطاك الفضل هو الله الذي حرمه ذلك - في تصورك - لهذا قال تعالى "عسى أن يكونوا خيراً منهم" فرُب ساخر اليوم مسخور منه غداً، ورب مفضول اليوم قد يكون فاضلاً في الغد، فالسخرية ليست من آداب المؤمن مع أخيه؛ يجب على الإنسان أن يتأدب بما أدبه الله به، فلا يسخر من غيره؛ وهو أيضاً أدب عام لجميع الأمة

¹ عبد الله سراج الدين، حول تفسير سورة الحجرات، ص 35 - 37.

² صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة، رقم 6056.

³ العثيمين، تفسير القرآن الكريم (الحجرات)، ص 26 - 27.

⁴ محمد شاکر الكبيسي، التوجيهات التربوية، ص 16.

رجلا كانوا أو نساء¹. ثم نهى الله عن اللمز وهو عيب المؤمنين بعضهم بعضاً، فلا يجوز لك أن تعيب أخاك بصفة خلقية أو صفة خلقية، فإن عيبك إياه في الحقيقة كأنك تعيب على خالقه عز وجل؛ فإله خلقه وجعل هذه الصفة فيه، والإنسان لا يمكن أن يكمل خلقته فيكون الطويل قصيراً، أو القصير طويلاً...، ثم نهى الله عن التنازع بالألقاب* فلا ينبز بعضكم بعضاً باللقب، فنقول له مثلاً: يا فاسق، يا فاجر²، فمن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه بلقب يكرهه، ومن أدب المؤمن ألا يؤذي أخاه بمثل هذا، وقد غير رسول الله ﷺ أسماء وألقابا كانت في الجاهلية لأصحابها، أحس فيها بحسه المرهف، وقلبه الكريم، احتقارا لأصحابها، أو فيها وصف ذميم لهم³، فغير اسم حزن، فسماه سهلاً⁴؛ وحين سئل عن اسم أحد الصبيان فقيل له: فلان، يا رسول الله، قال ﷺ: «لما، ولكن اسمهُ المُنذرُ» فسماه يومئذ المُنذر⁵.

وقوله تعالى: (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِحُبِّهَا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) [الحجرات:12]، فباجتناب الظن السيء**، يظهر القرآن الضمير من داخله، ويدعه نقياً بريئاً من الهواجس والشكوك، أبيض يكن لإخوانه المودة التي لا يخدشها ظن السوء والبراءة التي لا تلوثها الريب والشكوك، والطمأنينة التي لا يعكرها القلق والتوقع⁶. فيجب على المسلم ألا يظن بأخيه المسلم إلا خيراً ولا يعرض نفسه للظنون والريب وأن يدفع عن نفسه ظن السوء ما أمكنه ذلك⁷.

وقد نهى الله عن التجسس لأن فيها إشغال النفس بمعاييب الآخرين، وإذا ابتلي العبد بالتجسس تجده في الحقيقة قلقاً دائماً في حياته، منشغلاً بعيوب الناس عن عيوبه، ولا يهتم بنفسه، أما العاقل هو الذي يتحسس معاييب نفسه، وينظر إليها ليصلحها، ولا أن ينظر في

¹ العثيمين، تفسير القرآن الكريم (الحجرات)، ص 37 - 39.

* فالنبز باللقب فإما أن يكون اللقب فيه، وإما أن لا يكون فيه، فإن كان فيه فقد ارتكبت هذا النهي، وإن لم يكن فيه فقد بهته وارتكبت النهي أيضاً (أنظر تفسير القرآن الكريم (الحجرات) للعثيمين، ص 41)

² العثيمين، تفسير القرآن الكريم (الحجرات)، ص 40 - 41.

³ سيد قطب، الظلال، ج26/ص 3344 - 3345.

⁴ صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب اسم الحزن، رقم 6190.

⁵ صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود... واستحباب التسمية بعبد الله.....، رقم 2149.

** صرح العلماء: أنه يحرم ظن السوء بمسلم ظاهره العدالة وأما ظن السوء بمن قامت القرينة على أنه أهل لذلك، فهذا لا حرج على الإنسان أن يظن السوء به (أنظر تفسير القرآن الكريم (الحجرات) للعثيمين، ص 49)

⁶ سيد قطب، الظلال، ج26/ص 3345.

⁷ البيانوني، البيّنات في تفسير سورة الحجرات، ص 159.

معايب الغير ليشيعها،¹ قال الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) [النور: 19]. وقد قاوم القرآن هذا العمل الدنيء من الناحية الأخلاقية، لتطهير القلب من مثل هذا الاتجاه اللئيم لتتبع عورات الآخرين وكشف سيئاتهم. تماشياً مع أهدافه في نضافة الأخلاق والقلوب.²

وفي قوله تعالى: "ولا يغتب بعضكم بعضاً" نهي عن أن يذكر المسلم أخاه المسلم بما يكره، كقوله فلان قبيح المنظر، أو فيه كذا، ولو كان ذلك فيه؛ ولقبح أمر الغيبة* شبهها بأكل لحم أخيه ميتاً. وخير ما يحفظ المؤمن من الوقوع في الغيبة تقوى الله ودوام رقابته سبحانه.³ وليعلم من نشر عيوب أخيه، أن الله سيسلط عليه من ينشر عيوبه، جزاءً وفاقاً، فلا يظن أن الله غافل عما يعمل، بل سيسلط عليه من يعامله بمثل ما يعامل الناس.⁴

وقوله تعالى: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" فكرم الإنسان ليس بنسبته إلى القبيلة الفلانية، أو الشعب الفلاني، وإنما الكرم الحقيقي النافع هو الكرم عند الله، ويكون بالتقوى، فكلما كان الإنسان أتقى لله كان عند الله أكرم، والتقوى كلها خير⁵، قال تعالى: (آلِ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) [يونس: 62-63].

تحدث هذه الآيات الكريمة عن الأخلاق المذمومة التي تجانب ولا تلتئم مع صفات الإيمان وربطت التخلي عن هذه الأخلاق بوصف الإيمان والتقوى وأشارت إلى أثارها الاجتماعية والنفسية على الفرد.

المطلب الثاني: أثر العقيدة على المجتمع

من الآيات التي ذُكرت في سورة الحجرات، بينت أثر العقيدة على وحدة المجتمع وصيانتها من التفكك قوله تعالى: (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ بِأَسْوَأَ بَيِّنَةٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا بَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) [الحجرات: 06]. ففي الآية خاطب الله تعالى عباده الذين صدقوا به وبرسوله ﷺ، بالثبوت وعدم التعجل في قبول الأخبار؛ لأنهم قد

¹ العثيمين، تفسير القرآن الكريم (الحجرات)، ص 51.

² سيد قطب، الظلال، ج 26/ص 3346.

* إذا كانت الغيبة للمصلحة فإنه لا بأس بها، فقد استشارت فاطمة بنت قيس النبي صلى الله عليه وسلم في رجال خطبوا فبين معايبهم لها فقال «أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، انكح أسامة بن زيد» صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، رقم (1480)

³ البيانوني، البيئات في تفسير سورة الحجرات، ص 162 - 163.

⁴ العثيمين، تفسير القرآن الكريم (الحجرات)، ص 52.

⁵ المرجع نفسه، ص 58.

يصبوا قوما بأذى وهم جاهلون بحالهم، فيصبحوا بعدها نادمين على ما أخطئوا؛ وفيها أيضا إرشاد إلى مكارم الأخلاق، وإلى التعقل في جميع الأمور، والتريث، وعدم التعجل الذي قد يؤدي إلى سوء النتائج، وقبح العواقب، وذلك كله لأجل الحفاظ على وحدة المجتمع المسلم وعدم التفكك بسبب أخبار موهومة، وشائعات باطلة؛ فإن دين الإسلام هو دين السلام والوئام ودين المحبة والوفاق، لا دين البغضاء والشقاق، وهو أيضا دين الثبوت والتعقل لا دين الطيش والتعجل المؤديان إلى تفرق المجتمع...؛ وبالثبوت والتزام شرع الله يستقيم أمر الجماعة وسطا بين الأخذ والرفض مما يصل إليها من أنباء؛ فلا تتسرع الجماعة في التصرف بناء على الخبر المكذوب، فتصيب قوما بظلم عن جهالة، فتندم بعدها على ارتكابها ما يغضب الله، ويجانب الحق والعدل بسبب الاندفاع¹.

قال تعالى: (وَإِن طَآئِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَبْجَهَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن بَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَنصَبُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الحجرات: 09-10].

يقول سيد قطب²: "هذه قاعدة تشريعية عملية لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكك، تحت النزوات والاندفاعات"³. فالقرآن يكلف الذين آمنوا من غير الطائفتين المتقاتلتين أن يقوموا بالإصلاح بين المتقاتلين؛ فإن لم تقبل إحداهما الرجوع إلى الحق، ورفض الصلح؛ فعلى المؤمنين أن يقاتلوا البغاة إذن حتى يرجعوا إلى أمر الله؛ وأمر الله هو وضع الخصومة بين المؤمنين، وقبول حكم الله فيما اختلفوا فيه؛ فإذا تم قبول البغاة حكم الله، قام المؤمنون بالإصلاح المبني على العدل طاعة لله وطلباً لرضاه؛ لأن الله تعالى " يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ". ومما يقتضي من هذه القاعدة أيضا ألا يجهز على جريح وألا يقتل أسير، ولا تؤخذ أموال البغاة غنيمة؛ لأن الغرض من قتالهم هو ردهم إلى الصف وليس القضاء عليهم؛ والأصل في نظام الأمة المسلمة أن يكون للمسلمين في أنحاء الأرض إمامة واحدة، ومما يترتب على هذه الأخوة أن يكون السلام، والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة، وأن يكون الخلاف والقتال هو الاستثناء الذي يجب رده إلى الأصل حين وقوعه؛ فأمّة الإسلام أمة واحدة، والمؤمنون كالجسد الواحد، والأخوة في

¹ البيانوني، البيئات في تفسير سورة الحجرات، ص 96، وعبد الله سراج الدين، حول تفسير سورة الحجرات، ص 72، وسيد قطب، الظلال، ج 26/ص 3340 - 3341.

² سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية موشا في أسبوط. تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي الرسالة والثقافة، وانضم إلى الإخوان المسلمين، له "التصوير الفني في القرآن" وتفسير "في ظلال القرآن"، توفي سنة 1387 هـ. (أنظر الأعلام للزركلي ج 3/137)

³ سيد قطب، الظلال، ج 26/ص 3343.

الدين هي أرفع، وأعلى علاقة بين المسلمين تقتضي حقوقا وواجبات كثيرة أهمها: الحب والتناصح ودفع الظلم والأذى، كما أن تقوى الله تعالى، والتزام حكم الله بين الناس، هي من أهم أسباب رحمة الله تعالى بعباده، وصرف البلاء عنهم؛ فالواجب الإيماني يفرض عليهم أن يكونوا كالجسد الواحد مجتمعين غير مختلفين متوادين غير حاقدين¹.

قوله تعالى: (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْحَرُونَ قَوْمٌ مِّن قَوْمِ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغْلِ بَيْسَ إِلَاسٍ الْمُسُوفُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتَّبِعْهُ فَهُوَ ظَالِمٌ) [الحجرات:11].

فيها بيان حقوق الأخوة الإيمانية التي لم تكن مجرد شعار يرفع، أو دعوى تدعى في الإسلام؛ وإنما هي مبدأ أصيل من مبادئ هذا الدين، إن الإسلام لم يحرم شيئا أو ينهى عنه إلا لمفسدة فيه، ولم يحرم شيئا إلا وقد أقام في منهجه تصورا كاملا، ونظاما شاملا، يقف في وجه ذلك الفساد، ويحول دونه، فدعا إلى التواضع لعباد الله تعالى، وحرمة الغيبة والنميمة وأوجب النصيحة، وشدد في بيان حرمة المسلمين، وتعظيم حقهم؛ فجاءت هاتان الآيتان لتعالج العلاقة الاجتماعية بين المؤمنين معالجة تربوية نفسية، فالمجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام له أدب رفيع، وكرامة الفرد فيه لا تمس بسوء وهي من كرامة المجموعة². قال سيد قطب: " وهو عالم له آدابه النفسية في مشاعره تجاه بعضه البعض وله آدابه السلوكية في معاملاته بعضه مع بعض"³.

قوله تعالى: (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) [الحجرات:12].

فأما هذه الآية فهي سياق آخر في هذا المجتمع الفاضل الكريم، تقيمه حول حرمان الأشخاص به حفظا لكراماتهم وحياتهم؛ فتعلم الناس كيف ينظفون مشاعرهم وضمائرهم، في أسلوب مؤثر عجيب؛ فيقيم هذا النص مبدأ في التعامل في مجتمع نظيف، ويحفظ حقوق الناس الذين يعيشون فيه، فلا يؤخذون بظنة، ولا يحاكمون بريئة، ولا يصلح الظن أن يكون أساسا لمحاكمتهم. وهكذا يظل الناس أبرياء، مصونة حقوقهم، حتى يتبين بوضوح أنهم ارتكبوا ما يؤخذون عليه؛ ولا يكفي الظن بهم لتعقبهم بغية التحقق من هذا الظن الذي دار

¹ المرجع السابق، ج26/ص3344، والبيانوني، البيئات في تفسير سورة الحجرات، ص 121، وعبد الله سراج الدين، حول تفسير سورة الحجرات، ص117.

² البيانوني، البيئات في تفسير سورة الحجرات، ص 135-139.

³ سيد قطب، الظلال، ج26/3336.

حولهم؛ فأى مدى من حفظ وصيانة كرامة الناس وحررياتهم، وحقوقهم يصل إليه هذا النص؛ ثم يستطرد في ضمانات المجتمع إلى مبدأ آخر يتصل باجتتاب الظنون فقال: "وَلَا تَجَسَّسُوا" والتجسس الذي قد يكون الحركة التالية للظن؛ وهذا المبدأ من مبادئ الإسلام الرئيسية في نظامه الاجتماعي، فلا يجوز أن تنتهك حرمة الناس في أي صورة من الصور، ففي المجتمع الإسلامي الرفيع الكريم يعيش الناس آمنين على أنفسهم، لا يوجد مبرر لانتهاك حرمتهم، وحتى ذريعة تتبع الجريمة وتحقيقها لا تصلح في النظام الإسلامي ذريعة للتجسس على الناس؛ فالناس على ظواهرهم، وليس لأحد أن يتعقب بواطنهم؛ وصار هذا النظام سياجا حول حرمة الناس، وحقوقهم وحررياتهم، فلا تمس من قريب أو بعيد¹.

بعد ذلك يجيء النهي عن الغيبة في تعبير عجيب، يبدعه القرآن إبداعا: "وَلَا يَغْتَابُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ" وهذا هو الخلق الثالث الذي تنهى عنه الآية؛ وهو الداء الذي يقود إليه الداءان السابقان؛ داء قل أن تتجو منه الأفراد والناس في مجتمعهم وهو داء الغيبة، الذي يدل على خلل في التربية خطير، وينذر بشر في المجتمع أخطر؛ فهى عنه القرآن الكريم بطريقة فذة في التعبير، والتصوير، عرضه بمشهد تتأذى له النفوس المؤمنة، وتنفر وتتقزز منه، وضرب له المثل بصورة بالغة التأثير؛ وهو تصوير المغتاب ينال من عرض أخيه على أفضع وأفحش صورة شددت إليها النفس بأسلوب التعجب والاستكار؛ ثم يعلن عنهم أنهم كرهوا هذا الفعل المثير للاشمئزاز، وأنهم إذن كرهوا الاغتياب؛ ويتحول هذا النص إلى سياج حول كرامة الناس، وإلى أدب عميق في النفوس والقلوب، ويعطي العلاج الثابت الذي يظهر المجتمع الإسلامي².

قوله تعالى: (يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات: 13].

يبين الله لعباده هدف خلقهم شعوبا وقبائل؛ وهي التعاون والوثام لا الاختلاف والخصام؛ وأما اختلافهم في الطباع، والألوان والألسنة فهذا يلزم منه التعاون؛ وهذا الاختلاف ليس من حساب في ميزان الله، إنما ميزانه واحد يعرف به الناس، وهو في قوله تعالى: " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ"، فالكريم عند الله تعالى هو التقى؛ وهو يزنكم عن علم وخبرة؛ فيتوارى بذلك كل نزاع، ويختفي كل اختلاف، ويظهر سبب الألفة والتعاون وهو ألوهية الله للجميع، ويرتفع

¹ المرجع السابق، ج26/3345 - 3346.

² البيانوني، البيئات في تفسير سورة الحجرات، ص 149-150 وسيد قطب، الظلال، ج26/ص3347.

الفصل الثاني: النبوات والغيبيات وأثار العقيدة في سورة الحجرات

لواء التقوى ليقف تحته كل الناس، هذا اللواء الذي أنقذ البشرية من عصبية الجاهلية، وأقام مكانها نظامه الإنساني¹.

فبينت هذه الآيات الكريمة منهج الإسلام في الحفاظ على المجتمع ككل، وصيانة حرمانات، وحرمان أفراد وضممان حقوقه؛ وأعطت العلاج الذي يظهر المجتمع الإسلامي من العادات السيئة؛ وأظهرت صورة الإسلام بكونه عالم له آدابه النفسية في مراعاة مشاعر الناس، وله آدابه السلوكية في معاملاته، وبينت سبب خلقهم مختلفين في هذا الكون وهو التعارف والتكامل لا النزاع والشقاق.

من خلال هذا المبحث اتضح ما في السورة من آثار العقيدة التي تنعكس على الفرد والمجتمع، ونتائجها الإيجابية التي تمثلت في احترام حدود الله تعالى ورسوله ﷺ، التي يجب أن لا يتعداها العبد، كعدم الاقتراح والامتنال لتطبيق شرع الله وما بينه الرسول الكريم، وفي هذا الأدب الواجب لله ولرسوله ﷺ، كما بينت كيف تنتظم علاقة الفرد مع أخيه؛ وكيف يسان المجتمع من التفكك، وهو من آثار العقيدة التي ترسخ في قلب المؤمن فيحفظ كرامته، ويضبط سلوكه، ويتماسك بصلاح الفرد المجتمع ككل.

¹ سيد قطب، الظلال، ج2/ص3348-3349.

خلاصة الفصل

في هذا الفصل بيّنا ما في سورة الحجرات من نبوات، من خلال حديث السورة على مقتضيات الإيمان بالنبي محمد ﷺ، كالأمر بطاعته واحترامه واحترام حرمة بيوته ﷺ، وبيان علو مكانته لأنه نبي رسول من عند الله تعالى؛ أوجب طاعته على كل مؤمن مقر بنبوته ﷺ؛ ليكمل إيمانه، ويعد هذا الأمر الأثر البديهي للإيمان بالنبي ﷺ، كما تكلمت السورة على الأمور الغيبية كقضية علم الله تعالى للغيب الشامل لكل الأشياء؛ وتناولت مرتبتين من مراتب القضاء والقدر؛ وهي العلم والخلق، كما جاء في السورة الكريمة بيان لآثار العقيدة من خلال ضبط سلوك الفرد والتزام الأدب مع الله خالقه، ومع نبيه الكريم ﷺ، ومع غيره، وكيف يبني المجتمع ويتماسك ويصان من التفكك. وهكذا يظهر ما في سورة الحجرات من قضايا تخص العقيدة.

فائمة

- توصلنا في نهاية إنجاز هذا البحث، بعد أن قمنا بدراسة شاملة لسورة الحجرات إلى جملة من النتائج نعرضها كالتالي:
- أهم ما أكدت عليه سورة الحجرات هو عدم التقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ، وهو أصل قرآني عظيم يتمثل في الالتزام بما شرعه الله تعالى لعباده، ويكون بالتسليم والانقياد التام لأوامر الله ورسوله، وهذا ما يقتضيه الإيمان بالله ورسوله ﷺ.
 - بيان مكانة الرسول ﷺ بوجوب طاعته وتوقيره واحترام حرمة ويعد هذا أثر بديهي للإيمان به.
 - التزام منهج الله تعالى بالثبوت في تلقي الأخبار، والصلح بين المسلمين والتلويح بجملة من الأخلاق والفضائل في التعامل بين أفراد المجتمع، وهذا من صميم توحيد مصدر التلقي عن الله ورسوله ﷺ.
 - أمرت السورة الكريمة بتقوى الله تعالى في عدة مواضع، ويكون بالامتنال لأمره واجتناب نهيه وهو مما يقتضيه الإيمان بالله.
 - جاء ذكر ما يقتضيه الإيمان بالله في ربوبيته وألوهيته من خلال عدم التقدم بين يديه عز وجل؛ ويكون بالتسليم والانقياد لما شرع الله، والأمر بتقواه، كما جاء ذكر بعض أسماء الله وصفاته بعد كل أمر ونهي؛ ليستشعر العبد أن الله تعالى راقبه في كل صغيرة وكبيرة، فيؤدي هذا إلى الإقرار بتوحيد أسماء الله وصفاته.
 - بيان حقيقة الإيمان والإسلام والفرق بينهما، فالإيمان هو عقيدة وعمل في ظل هذه العقيدة، أما الإسلام مقره اللسان والأعمال الظاهرة.
 - الإيمان الحقيقي هو التصديق المحض بالله ورسوله تصديقا لا ريب فيه؛ وهو الذي يكون وقت الابتلاء ثابتا لا يتزعزع، عندئذ يظهر الصادق من غيره.
 - للعقيدة آثار عديدة انعكست على الفرد والمجتمع؛ تمثلت في آداب نظمت علاقة العبد مع ربه ورسوله؛ وتكون بالطاعة وعدم الاقتراح، والتزام ما شرعه الله، وفيها تكون سعادة المؤمن في الدنيا والآخرة؛ وآداب مع نفسه وغيره، فالعقيدة تضبط سلوك الفرد وتربيته على مكارم الأخلاق فيتعلم حسن معاملة الغير، واحترام مشاعره فلا يلمز ولا يسخر ولا يغترب أخيه؛ فيعم الاستقرار والطمأنينة في المجتمع ويصان من التفكك وتحفظ حريات وحقوق أفرادهم وكرامتهم، وبهذا يزول كل خلاف وخصام فتظهر غاية الله في خلق الناس وهي الألفة والتعاون.

التوصيات

بعد إجراء الدراسة واستخراج جملة من النتائج، لاحت لنا مقترحات من الممكن أن تكون مواضيع للبحث مستقبلا وهي:

- 1- لقد تطرقت سورة الحجرات إلى النهي الشديد على التقدم بين يدي الله تعالى، وفي ظل المستجدات والنوازل على المجتمع، وتغير الأزمنة نحتاج إلى قوانين لها. لذلك ظهر لنا الإشكال التالي كيف نضع قوانين لعلاج هذه النوازل، وتكون مستندة إلى القرآن لا تخالف أحكام الله، ويمكن معالجة هذه الإشكالية في الموضوع التالي: **القوانين الوضعية وعلاقتها بالأحكام الشرعية في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية-**.
- 2- تكلمت سورة الحجرات على جملة من الأخلاق، وتضمنت أيضا على أمور عقديّة، فظهر لنا الموضوع التالي: **علاقة العقيدة بالأخلاق من خلال سورة الحجرات.**
- 3- لقد تطرقت سورة الحجرات إلى الفرق بين الإيمان والإسلام وهو موضوع هام يحتاج إلى توسع من خلال سور أخرى في الموضوع التالي: **حقيقة الإيمان والإسلام في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية-**.

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية ورش.
2. ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، دون بلد، دون سنة، دون طبعة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
3. أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، دون سنة، دون طبعة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.
4. أبو عبد الرحمن أحمد النسائي، السنن الكبرى للنسائي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ - 2001م، الطبعة الأولى.
5. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، دون طبعة، 1418 هـ - 1997م، الطبعة الرابعة، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني
6. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع المسند الصحيح، الناشر: دار طوق النجاة، 1422هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر.
7. مسلم بن الحجاج أبو الحسن، المسند الصحيح المختصر، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

المراجع:

1. إبراهيم بن عمر البقاعي، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض 1408 هـ - 1987م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد السميع حسنين.
2. إبراهيم بن محمد البريكان، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية - على مذهب أهل السنة والجماعة -، الناشر: دار ابن القيم للنشر والتوزيع، السعودية، 1423هـ - 2003م، الطبعة الأولى.
3. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، دون طبعة.
4. ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1398هـ/1978م، دون طبعة.
5. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الناشر: مؤسسة قرطبة للطبع والنشر، القاهرة، 1421هـ - 2000م، الطبعة الأولى، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرون.
6. أبو البركات عبد الله النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، 1419 هـ - 1998م، الطبعة الأولى، تحقيق: يوسف علي بديوي،
7. أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، 1392هـ - 1972م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
8. أبو الحسين يحيى بن العمراني، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، الناشر: أضواء السلف، الرياض، السعودية، 1419هـ - 1999م، الطبعة الأولى، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف
9. أبو بكر البيهقي، الأسماء والصفات، الناشر: مكتبة السوادي، السعودية، 1413 هـ - 1993م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي،
10. أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، السعودية، 1424هـ - 2003م، الطبعة الخامسة.
11. أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، السعودية، 2004، الطبعة الأولى.
12. أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، الناشر: الجفان والجابي، قبرص، 1407هـ - 1987م، الطبعة الأولى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي،

13. أبو زكريا محيي الدين النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392 هـ، الطبعة الثانية.
14. أبو سليمان حمد الخطابي، معالم السنن - شرح سنن أبي داود، الناشر: المطبعة العلمية، حلب، 1351 هـ، 1932م، الطبعة الأولى.
15. أبو عبد الله شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384 هـ - 1964م، الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.
16. أبو عبد الله فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب - التفسير الكبير - ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ، الطبعة الثالثة.
17. أبو عبد الله مصطفى بن العدوي، التسهيل لتأويل التنزيل تفسير سورة الحجرات - في سؤال وجواب، الناشر: دار ماجد عسيري، جدة، 1421 هـ - 2000م، الطبعة الأولى.
18. أبو محمد علي بن حزم، جمهرة أنساب العرب، الناشر دار الكتب العالمية، بيروت، 1403 هـ - 1983م، الطبعة الأولى.
19. أبو منصور محمد الهروي، تهذيب اللغة، الناشر: دار الكاتب العربي، القاهرة، 1387 هـ - 1967م، تحقيق: إبراهيم الإبياري.
20. أبو نصر إسماعيل الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، 1407 هـ، الطبعة الرابعة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.
21. أحمد بن إبراهيم النقي، البرهان في تناسب سور القرآن، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، 1428 هـ، الطبعة، تحقيق: سعيد الفلاح، تقديم: عبد الله التركي.
22. برهان الدين بن البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1402 هـ، 1971م، دون طبعة.
23. تقي الدين ابن تيمية، الإيمان، الناشر: المكتب الإسلامي، الأردن، 1416 هـ - 1996م، الطبعة الخامسة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.
24. تقي الدين ابن تيمية، النبوات، الناشر: أضواء السلف، السعودية، 1420 هـ - 2000م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان.
25. تقي الدين أحمد ابن تيمية، الفتاوى الكبرى لابن تيمية، الناشر: دار الكتب العلمية، دون بلد، 1408 هـ - 1987م، الطبعة الأولى.
26. تقي الدين بن تيمية، مجموع الفتاوى، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416 هـ - 1995م، دون طبعة، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.
27. حافظ بن أحمد الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، 1422 هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: حازم القاضي.
28. حامد يعقوب الفريخ، منهجية البحث في التفسير القرآني، بحث مقدم إلى مؤتمر التفسير الموضوعي - واقع وآفاق - جامعة الشارقة يومي 11 - 12 ماي 1431 هـ.
29. الحجازي محمد محمود، التفسير الواضح، الناشر: دار الجيل الجديد، بيروت، 1413 هـ، الطبعة العاشرة.
30. خالد بن سليمان المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن - من خلال الكتب التسعة -، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، 1427 هـ، الطبعة الأولى.
31. خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، دون بلد، 2002 م، الطبعة الخامسة عشر.

32. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، الناشر: دار المعرفة، بيروت، دون سنة، دون طبعة، تحقيق: محمد سيد الكيلاني.
33. سامر رشواني، منهج التفسير الموضوعي القرآن الكريم - دراسة نقدية-، الناشر: دار الملتقى، سوريا، 1430هـ - 2009م، الطبعة الأولى.
34. سعيد بن وهف القحطاني، شرح أسماء الله الحسنى - في ضوء الكتاب والسنة-، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، دون سنة، دون طبعة.
35. سعيد حوى، الأساس في التفسير، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، دون بلد، 1405هـ، 1985م الطبعة 1.
36. سيد قطب، في ظلال القرآن، الناشر: دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1423هـ - 2003م، الطبعة الثانية والثلاثون.
37. شمس الدين الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1382هـ - 1963م، تحقيق: علي محمد البجاوي.
38. عاتق بن غيث الحربي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، الناشر: دار مكة للنشر، مكة المكرمة، 1402هـ - 1982م، الطبعة الأولى.
39. عبد الرؤوف محمد عثمان، محبة الرسول بين الإتياع والابتداع، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، الرياض، 1414هـ، الطبعة الأولى.
40. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الناشر: مؤسسة الرسالة، 1423هـ - 2002م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.
41. عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر، فقه الأسماء الحسنى، الناشر: دار التوحيد للنشر، الرياض، 1429هـ - 2008م، الطبعة الأولى.
42. عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مجموع فتاوى، دون دار نشر، دون بلد، دون سنة، دون طبعة، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر
43. عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، دون سنة، دون طبعة.
44. عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، الناشر: مدار الوطن للنشر، الرياض، 1424هـ - 2003م)، الطبعة الأولى، مراجعة وتقديم: عبد الرحمن بن صالح المحمود.
45. عبد الله سراج الدين، حول تفسير سورة الحجرات، الناشر: مكتبة دار الفلاح، حلب، 1413هـ - 1992م، الطبعة الأولى.
46. عبد المجيد البيانوني، البيئات في تفسير سورة الحجرات، الناشر: دار نور المكتبات، جدة، 1418هـ - 1997م، الطبعة الأولى.
47. عثمان جمعة ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، 1423هـ - 2003م، الطبعة الرابعة، تقديم: عبد الله عبد الكريم العبادي.
48. علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ص 65، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، 1403هـ - 1983م، الطبعة الأولى.
49. علي نايف الشحود، الواضح في أركان الإيمان، الناشر: دار المعمور، دون بلد، 1430هـ - 2009م، الطبعة الأولى.
50. عمر بن سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، 1410هـ - 1989م، الطبعة الرابعة.

51. عمر بن سليمان الأشقر، القضاء والقدر، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، 1425 هـ - 2005م، الطبعة الثالثة عشر.
52. فهد الرومي دراسات في علوم القرآن الكريم، دون دار نشر، دون بلد، 1424 هـ - 2003م، الطبعة: الثانية عشرة
53. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 1422 هـ - 2001م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي.
54. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، دون سنة نشر، دون طبعة.
55. محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم (الحجرات-الحديد)، ن: دار الثريا للنشر، السعودية، 1425 هـ - 2004م، الطبعة الأولى.
56. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1417 هـ - 1997م، الطبعة الأولى.
57. وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الناشر: دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418 هـ، الطبعة الثانية.

المقالات:

1. سعد بن عبد الرحمن ندا، مفهوم الأسماء والصفات، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، دون سنة، عدد 46.
2. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1421 هـ، عدد 112.
3. محمد شاكر عبد الله الكبيسي، التوجيهات التربوية في سورة الحجرات، مجلة الجامعة الإسلامية، دون سنة، عدد 1/26

الفارس

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
48	03-01	البقرة	(أَلَمْ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ) (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ) (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنْطَلُوا وَاللَّهِ)
22	235		
30	264		
22	19	آل عمران	(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)
18	164		
29	65	النساء	(قَلًا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)
57	80		
28	03	المائدة	(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ) (يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا)
27	06		
42	67		
56	112		
29	57	الأنعام	(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) (وَمَا تَسْفُظُ مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا) (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِّمَىٰ بِطَرَفِ السَّمَوَاتِ) (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا بَعَثَوهُ)
35	59		
30	79		
53	112		
14	54	الأعراف	(أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) (فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ)
28	32	يونس	(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ) (وَالْقُوَّةَ فِي عَيَبَتِ الْجَبِّ)
60	63-62		
48	10	يوسف	(وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا) (أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)
48	17		
14	42		
13	16	الرعد	(فَلِمْ مَسْ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا وَ الطُّغُوتِ)
24	36	النحل	(وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ) (إِنَّ هَٰذَا أَلْفُ رَءَا أَن يَهْدِيهِ)
51	04	الإسراء	
أ	09		
52	21	مريم	(وَكَانَ أَمْرًا مَّفْضِيًّا) (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي...) الآية
24	14	طه	(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ)
52	70	الحج	(أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكَوْا) (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)
60	19	النور	(لَيْسَ أَشْرَكَكَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)
21	03-02	العنكبوت	
36	43	الأحزاب	
أ	65	الزمر	
22	19	غافر	

50	12	فصلت	(وَأَوْجِبِي فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا)
52	41		(بِقَضَائِهِنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ)
32	11	الشورى	(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)
13	19	محمد	(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)
07	29	الفتح	(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ)
26/14/08/07 44/43/33/29 47/45	01		(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَفْدِمُوا)
57/44	02		(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ)
45/44/25/08 57	03		(إِنَّ الَّذِينَ يَعْصُونَ أَصْوَاتَهُمْ)
45/44/08	04		(إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ)
45/44/35	05		(وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ)
60/58/08	06		(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ بِاسِئ)
43/36/27/16 54	07		(وَاعْلَمُوا أَنَّ بَيْنَكُمْ رَسُولَ اللَّهِ)
53/34/14	08		(وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ)
61/37/07	09		(فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)
61	10	الحجرات	(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ائْتَمَّتَا)
62/58/31/08	11		(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْحَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ)
62/59/36/26	12		(بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ)
37/34/26/18 63/54/53	13		(يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى)
26/19/08/07 43/35/27	14		(قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا فُل لَّمْ تُؤْمِنُوا)
19/46/35	15		(لَئِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)
48/34/22/19 53	16		(فَلِأَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ)
36/20/17/16 54	17		(يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا)
53/48/36/07	18		(إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)
07	03-01	ق	(ق وَالْفُرْقَانِ الْمَجِيدِ)
22	36-35	الذاريات	(فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا)
24	56		(وَمَا خَلَقْتَ الْجِبَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ)
46/15	04-03	النجم	(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى)
52	49	القمر	(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)
19	57	الواقعة	(نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ)
50	07	المجادلة	(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ)

17	05	الصف	(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ)
50	12	الطلاق	(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ)
13	40-01	الصمد	(فَلْهُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	نص الحديث
17	«الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ...»
53/41/21/20	«الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ...» «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ،...»
21	«أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ...»
28	«إِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ...»
37	«أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ...»
44	«ذُرُونِي مَا تَرَكَتُمْ...»
44	«فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ...»
57	«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ...»
58	«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ»
59	«لَا، وَلَكِنْ اسْمُهُ الْمُنْذِرُ»
56	«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ...»

فهرس ترجمة الأعلام

الصفحة	اسم المترجم له
06	محمد الطاهر بن عاشور
14	أبو جعفر محمد بن جرير الطبري
20	إسماعيل بن عمر بن كثير
24	تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية
51	يحيى بن شرف بن مري النووي
61	سيد قطب بن إبراهيم

الفهرس

	الإهداء
	شكر وتقدير
	ملخص الدراسة
	سورة الحجرات
أ- د	مقدمة
06	الفصل التمهيدي: التعريف بسورة الحجرات
12	الفصل الأول: التوحيد ونواقضه في سورة الحجرات
12	تمهيد
13	المبحث الأول: توحيد الربوبية في سورة الحجرات
13	المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية لغة واصطلاحاً
14	المطلب الثاني: توحيد الربوبية في سورة الحجرات
24	المبحث الثاني: توحيد الألوهية ونواقض التوحيد في سورة الحجرات
24	المطلب الأول: تعريف توحيد الألوهية لغة واصطلاحاً
25	المطلب الثاني: توحيد الألوهية في سورة الحجرات
28	المطلب الثالث: نواقض التوحيد من خلال سورة الحجرات
32	المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات في سورة الحجرات
32	المطلب الأول: التعريف بتوحيد الأسماء والصفات
33	المطلب الثاني: توحيد الأسماء والصفات في سورة الحجرات
39	خلاصة الفصل
41	الفصل الثاني: النبوات والغيبيات وآثار العقيدة في سورة الحجرات
41	تمهيد
42	المبحث الأول: النبوات في سورة الحجرات
42	المطلب الأول: تعريف النبي والرسول لغة واصطلاحاً
43	المطلب الثاني: طاعة وتوقير النبي ﷺ في سورة الحجرات
45	المطلب الثالث: الإقرار بالنبوة ومقتضياتها
48	المبحث الثاني: الغيبيات في سورة الحجرات
48	المطلب الأول: تعريف الإيمان والغيب لغة واصطلاحاً
49	المطلب الثاني: الإيمان بعلم الله للغيب في سورة الحجرات
51	المطلب الثالث: القضاء والقدر في سورة الحجرات
56	المبحث الثالث: آثار العقيدة من خلال سورة الحجرات
56	المطلب الأول: أثر العقيدة على الفرد

60المطلب الثاني: أثر العقيدة على المجتمع
65خلاصة الفصل
67خاتمة
70قائمة المصادر والمراجع
75فهرس الآيات
78فهرس الأحاديث
79فهرس ترجمة الأعلام
80الفهرس

عَمَّ
بِحَبْرٍ
الْحَبْرِ